في التصوف الإسلامي

تأليف

الأستاذ محمد الطنجي

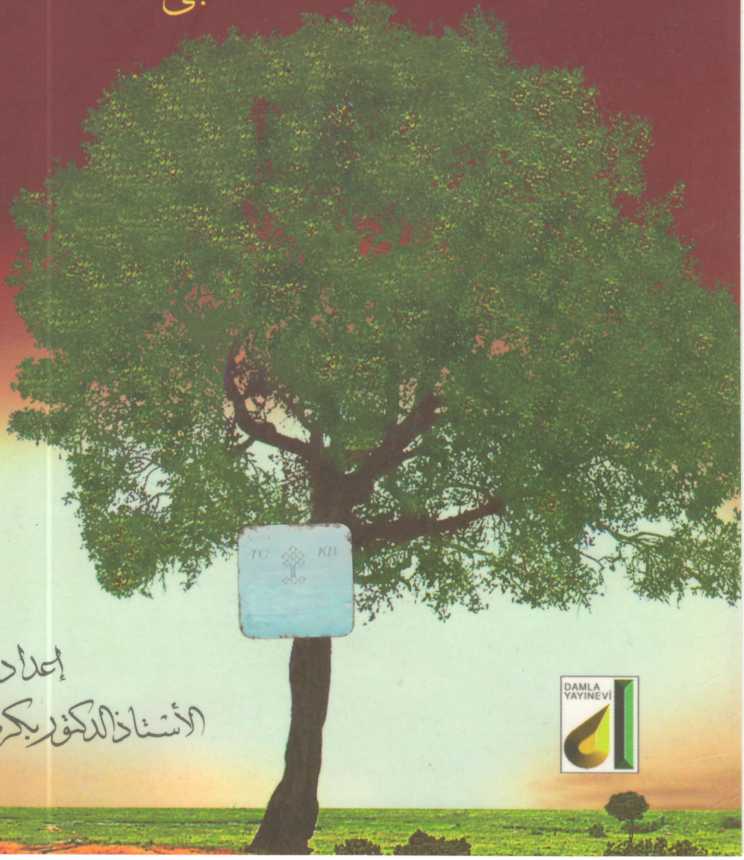

إعداد

الأستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلی

DAMLA YAYINEVİ

في التصوف الإسلامي

صر ١٤٢٢

تأليف
الأستاذ محمد الطنجي
المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م.

إعداد
الأستاذ الدكتور بكر طوباش اوغلي

نشريات DAMLA : ٤٧٣
سلسلة الكتب الثقافية : ١٤

مؤلف الكتاب: الأستاذ / محمد الطنجي
إعداد: الأستاذ الدكتور / بكر طوبال أوغلى
إعداد النشر: Damla Yayınevi
الكتابة (الآلة الحاسبة): الدكتور / أرطغرل بوينوكالن
طبع: İstanbul Matbaacılık
طبع الغلاف: Tavaslı Matbaası
التجليد: İstanbul Ciltevi
الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

DAMLA YAYINEVİ®
Bâb-ı Âli Cad. No: 50 Cağaloğlu-İST
Tel.: 0212 526 21 99 - 511 09 55
Faks: 0212 528 24 01

İnternet: www.damlayayinevi.com.tr E-mail: damla@damlayayinevi.com.tr

فهرس الكتاب

تقديم ٧

المدخل ٩

أ أهداف الإسلام ٩

ب الإسلام دين الحق و العدالة ١٥

١ حركة الزهد ٢٥

٢ من الزهد إلى التصوف ٣١

٣ مميزات التصوف ٣٧

٤ الانحراف عن الاعتدال ٤٩

٥ العلم الظاهرى والعلم الباطنى ٥٧

المصادر والمراجع..... ٧٥

فهرس الأعلام ٨٧

تقديم

إن الكتاب الذي بين أيديكم مأخوذ من المقدمة التى كتبت لكتاب *شفاء السائل* لابن خلدون من قبل الأستاذ محمد الطنجى. فقد كان الأستاذ محمد الطنجى خلال تحقيقه لهذا الكتاب الذى يقدم نظرة عامة حول التصوف وضع له مقدمة تبلغ مائة صفحة ، و خصص ما يقارب أربعين صفحة من هذه المقدمة لمسألة ظهور حركة التصوف في الإسلام و تطورها (ص. ن-فز). و قد لاحظنا أهمية هذا القسم من المقدمة الذى كتب في أسلوب علمى دقيق مع الاعتماد على المصادر العلمية ، لذلك قررنا نشره مع ترجمته التى قمنا بـــها إلى اللغة التركية.

ولا يوجد في أصل النص أية عناوين. و قد قمنا بإضافة عناوين فى النص العربى تناسب انسياق المواضيع و وضعناها بين قوسين ، كما لجأنا إلى ترجمة تلك العناوين إلى التركية دون أن تكون بين القوسين. و قد قمنا بنشر نص الكتاب مع الحواشى التى تحتوى على الإحالات إلى المصادر كما هى فى

الأصل ، إلا أننا قمنا ببعض التصحيحات لما يمكن اعتباره أخطاءً مطبعيةً كما أحلنا في موضع واحد إلى طبعة جديدة من كتاب *تلبيس إبليس* لابن الجوزى.

و مع محاولتنا للقيام بترجمة المتن ترجمة صادقة إلا أننا قصدنا إلى جانب ذلك تيسير فهمه من قبل القراء الذين سيستفيدون من هذا الكتاب و هم على الأغلب طلبة الدراسات العليا في مجال الدراسات الإسلامية و من يُحس اهتماماً بـــهذه المواضيع من القراء الأعزاء.

أسأل الله العلى القدير رحمته وغفرانه لأستاذى محمد الطنجى الذى انتقل إلى عالم الخلد (سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، كما أسأله أن يجعل هذا الكتاب وسيلة لحل بعض المشكلات في الأذهان و تطهير الأفئدة من متراكم الأدران ، إنه ولى ذلك و القادر عليه.

الأستاذ الدكتور / بكر طوبال أوغلى

بسم الله الرحمن الرحيم

[المدخل]

[أ أهداف الإسلام]

الأهداف التى عُنِىَ الإسلام بتحقيقها تنحصر فى أمرين: تنظيم علاقة الإنسان بالله ، و تنظيم علاقته بالإنسان. فالحياة الدينية و الحياة الدنيوية كلاهما ميدان له يوجّههما الوِجْهة التى يراها ، و يُعْنَى بهداية المسلم فيهما الصراط المستقيمَ.

و فى تنظيم صلة المسلم بالله تقوم دعوة الإسلام – أوَّلَ ما تقوم – على إخلاص التوحيد لله إخلاصاً لا يَسمح لأى عارض من عوارض الشرك أن يتخلّله. و الدعوة إلى توحيد الله فى نظر الإسلام هي دعوة جميع الرسل والأنبياء منذ أن كانت الرسالة و النبوّة. و القرآن حريص فى كل مناسبة على

أن يذكّر المؤمنين بأن ما شرَعه لهم من إفراد الله — دون مَن سواه و دون ما سواه — بالعبادة قد شُرِع منذ الزمن البعيد للأمم السابقة ، و دعا إليه الأنبياء و المرسلون أممهم. « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »[1] ؛ « وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »[2] ؛ « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَىْءٍ »[3].

و الذين تختارهم العناية الإلهية لتبليغ دين الله إلى الناس ، وهم الأنبياء والرسل ، هم أول من يُدْعَى إلى الإيمان بعقيدة التوحيد وإلى تفهم حقيقتها. « قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »[4] ؛ « قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ

---

[1] سورة الشورى ، ١٣/٤٢.

[2] سورة البقرة ، ١٣٠/٢ — ١٣٣.

[3] سورة يوسف ، ٣٨/١٢.

[4] سورة الأنعام ، ١٤/٦.

مَآب »[5] ؛ « قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ. وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ »[6].

حتى إذا ما امتلأت قلوبهم و عقولهم بمعاني هذه الدعوة ، و مُثِّلت لهم بينةً واضحةً قاموا يدعون الناس إليها مبشرين و منذرين ؛ سنةُ الله فى الذين خَلَوا من قبل . و على سنة الله هذه جرى الرسول (ص) ، فقضى ما شاء الله أن يقضيَه فى خَلَواته يتبيّن معالم المهمة التي كانت عناية الله تُهيِّؤُه لأدائها. حتى إذا ما وضَحت هذه المعالم قيل له « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ »[7] ؛ و قيل له « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »[8] ؛ صَدَع بما أُمر به فقال : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِه شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه »[9] ؛ و قال : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِه شَيْئًا »[10] ؛ و قال: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِه وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »[11].

ذلك هو أساس الإسلام الذى يقوم عليه بناؤه : توحيدٌ لله خالصٌ لا

---

[5] سورة الرعد ، ٣٦/١٣.

[6] سورة الزمر ، ٦٤/٣٩ — ٦٦.

[7] سورة المدثر ، ١/٧٤ — ٢.

[8] سورة المائدة ، ٦٧/٥.

[9] سورة آل عمران ، ٦٤/٣.

[10] سورة النساء ، ٣٦/٤.

[11] سورة النساء ، ٤٨/٤ ، ١١٦.

يقبل أيَّ لون من ألوان الشرك ، و كفرٌ باتٌّ شامل بكل مَن عساه أن يضع نفسه موضع الوسيط أو الشفيع بين المسلم و بين ربه. فلا مكان فى عقيدة الإسلام للأصنام ، من الناس و من الجماد ، مهما كان الوضع الذى تتخذه ؛ فهى مرفوضة فى شكلِ معبوداتٍ مستقلة تُرجَى و تُرهَب لما لها من التأثير على حياة الناس ، و مرفوضةٌ فى صورة الوسيط الذى يشفع لموسِّطه عند الله ، وهى كذلك مرفوضة إذا ما اتُّخِذت وسيلةً من وسائل التقريب أو التمثيل أو الرمز. و الله وحده و بدون وَساطة هو الذى يتقرب إليه المسلم بعبادته وبخضوعه ، و من الله وحده ، و لا واسطة أيضاً ، يُستَمد العون و تُرجى الهداية.

و الثمرة اللازمة لهذا التوحيد الذى يضمحلّ فيه كل الوسائط بين الله وبين الناس أن أصبح عقل المسلم و وجدانه حرَّين لا يخضعان لشئ غير الله الواحد. و هذه الحرية هى هدية الإسلام للمسلمين ، وهى فى الوقت نفسه تقدير الإسلام لإنسانية الإنسان و رفعٌ لمكانته.

و قد بلغت هذه المِنْحة الإسلامية من جلال القدر أن عُنِى الإسلام بتخليد ذكراها على لسان المسلمين فى صلواتهم : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ »[١٢].

سبعَ عشْرةَ مرةً فى كل يوم يُرَدّد المسلم فى أقدس اللحظات التى يناجى

---

[١٢] سورة الفاتحة ، ١/٥-٦.

فيها ربه هذه الكلمات[١٣]: إليك وحدَك نتوجّه فى عبادتنا وفى خضوعنا ، ولا نخضع لغيرك ، ومنك وحدك نرجو العون ونستوهب الهداية ، ولا نطلبها من أحد سواك !

أَتُرَى أن عناية الإسلام بـــهاتين الآيتين اللتين افترض قراءتَهما على المسلم فيما يقرأ من « فاتحة الكتاب » [١٤] كلما وقف يصلى بين يدى الله كانت تستهدف شيئا آخر غيرَ المحافظة على عقيدة التوحيد ، وغيَر التحدث بما عاد منها على الإنسان من ثمرات ، فى مقدمتها تحرره من الخضوع للإنسان أو لشىء آخر غير الإنسان ؟

ونُتِج عن هذا التوحيد وعن انتفاء الوسائط أَنْ خلت التعاليم الإسلامية فى أصلها من كل لون من ألوان الكهانة التى تَستأثر بدرس الدين وإيضاحه ، والتى لا تُبيح لأجنبى عنها حق التفسير والتأويل. وبذلك سَلِم الدين الإسلامى فى أصله أيضا من ذلك السُلّم الذى يَصْطنعه بعض الناس و يضعونه بين الإنسان و ربه.

والقرآن حين يدعو فى آيات كثيرة إلى استعمال العقل ، ويأمر بالتفكر والنظر والتدبر يَمنح كل مسلم له الكفايةُ حقَّ الدلالة على مسائل الدين

---

[١٣] لقد أخذ المؤلف رحمه الله فى عين الاعتبار الصلوات المفروضة فقط. فإذا أضفنا إليها صلاة الوتر و السنن الرواتب يصل هذا العدد إلى الأربعين.

[١٤] إذا ثبت أن فاتحة الكتاب هى أول ما نزل من القرآن ، و هو رأى يميل إليه جمع من علماء المسلمين ، كان المعنى الذى نذهب إليه هنا أكثر و ضوحا و أقوى مناسبة.

وحقائقه[١٥] ، وحق التفسير و البيان ؛ وبذلك مَكَّن لحرية المسلم التى اكتسبها بالتوحيد ، ونَفَى كل نوع من أنواع الوَساطة بين الحق و الخلق.

ورسول الله (ص) حين انتدب لتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس ، حُدِّدت حقيقته و بشريتُه. فالقرآن حريص فى كل مناسبة على أن يزيل كل لُبْس أو اشتباه من شأنه أن يَعْلَق بحقيقة الألوهية أو بحقيقة النبوة فيسيءُ الناس فهمهما ، أو يسيؤن فهم حقيقة التوحيد الذى هو أساس الإسلام.

و من هنا كانت بشرية الرسول موضوعا عُنى القرآن ببيانه و تأكيده : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ »[١٦] ، « قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً »[١٧].

و قد أخبر الرسول بأشياءَ مغيَّبة لا تنفذ إليها مدارك البشر ، وإنما ينفرد بعلمها وبالاطلاع عليها الله العليمُ ، فكان هذا الإخبار موجباً لبيان حقيقة الأمر فيه أيضا. ولذلك عُنى القرآن بإزالة كل اشتباه ، إيضاحاً وتحديداً لحقيقة النبوة والنبى. فالله وحده هو الذى « عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ »[١٨] ، و هو وحده « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ »[١٩] ، « تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ

---

[١٥] انظر *تفسير المنار* لرشيد رضا ، ١/٣٧٠.

[١٦] سورة الكهف ، ١١٠/١٨ ؛ وسورة فصلت ، ٦/٤١.

[١٧] سورة الإسراء ، ٩٠/١٧-٩٣.

[١٨] سورة الأنعام ، ٥٩/٦.

[١٩] سورة الجن ، ٢٦/٧٢-٢٧.

وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا »[٢٠] ، « ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ »[٢١].

و صلة المسلم بالله تتمثل فى عقيدته ، وقد مرّ بك الحديث عن أساسها وهو توحيد الله ، و إليه الإيمان برسالة رسول الله ؛ كما تتمثل فى أعمال كُلِّف الإنسان المسلم بالقيام بـــها تقرّبا إلى الله ؛ بعضها قَصد الإسلام منه دوام صلة المسلم بالله ، مثلَ الصلاة التى أمر المسلم بإقامتها خمسَ مراتٍ واجبةً فى اليوم ، وبعضها قَصد منه من بين ما قصد امتحان صدق المسلم فى تحمل الأمانة وذلك هو الصيام ، ومنها ما قصد الإسلام فيه إلى بناء المجتمع الإسلامى الكبير على أسس متينة من العدل والمودة والإخاء مثل الزكاة والحج.

و هذه الأعمال بعد العقيدة هى جميعا أركان الإسلام. وقد أوضحها الرسول (ص) نفسه فى الحديث الذى يرويه عمر بن الخطاب (رض) فى بيان حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان[٢٢].

[ب الإسلام دين الحق و العدالة]

و الإسلام يقدّم نفسه للناس على أنه دين الحق ؛ « هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ »[٢٣] ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ

---

[٢٠] سورة هود ، ٤٩/١١.

[٢١] سورة آل عمران ، ٤٤/٣.

[٢٢] انظر *صحيح البخارى* ، الإيمان ، ٣٧ ؛ و *صحيح مسلم* ، الإيمان ، ٧.

[٢٣] سورة التوبة ، ٣٣/٩.

مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ »[٢٤] ، « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ »[٢٥] ، « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ »[٢٦] ، « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »[٢٧] ، « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ »[٢٨] ، « قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ »[٢٩].

و« الحقّ » فى مدلوله العام هو الأمر الثابت الذى لا يزول ، وهو اليقين الذى لا يلحقه الشك ، وهو الأمر المطابق للواقع فى الإعتقاد وفى الفعل وفى القول ، وهو — الى هذه المعانى جميعا — عدل شامل دقيق بين الناس. و من هنا كانت مبانيه الكبرى تكاد ترجع إلى الثبات والتيقن والصدق والعدالة ؛ وهى معانٍ قُصدتْ إرادتها فى الحس القرآنى بصورة عامة ؛ إلا أن الجَوَّ الذى تعيش فيه كلمة الحق عند استعمالها فى مواضع مختلفة من القرآن يعود عليها بتوجيه أدقّ وأوضحَ.

وقد وردت كلمة « الحق » فى القرآن مشفوعةً بكلمة « الباطل ». و الباطل هو الذى لا تثبت له حقيقة عند البحث ، والذى لامنفعة فيه تعود

---

[٢٤] سورة النساء ، ٤/١٧٠.

[٢٥] سورة محمد ، ٤٧/٢-٣.

[٢٦] سورة النساء ، ٤/١٠٥.

[٢٧] سورة البقرة ، ٢/١١٩.

[٢٨] سورة الرعد ، ١٣/١٤.

[٢٩] سورة الإسراء ، ١٧/٨١.

على الناس ، والذى يدلّ – فيما يدل عليه – على الاضمحلال والفساد. هذا الباطل بمعانيه هذه يعكس على كلمة الحق حينما يجاورها فى الاستعمال القرآنى بمعنى الثبات والدوام والمنفعة والصلاح ، وهى معان تُضادّ كل صفات الباطل. « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ » [٣٠]. ولن يُعجزك أَنْ تَلْمس هذا المعنى فى الآيتين التاليتين : « يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه »[٣١] ، « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »[٣٢] وفى أمثالهما حينما ترد فيهما كلمتا « الحق » و « الباطل » فى آية واحدة [٣٣].

فإذا تحدّث القرآن عن اليوم الآخر وعما يَعد أو يوعد به اللهُ المؤمنين وغيرَهم من نعيم أو عقاب كان « الحق » يعنى الصدق والتيقنَ ؛ « هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[٣٤] ، « وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ »[٣٥] ، « فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ

---

[٣٠] سورة الرعد ، ١٣/١٧.

[٣١] سورة الشورى ، ٤٢/٢٤.

[٣٢] سورة الإسراء ، ١٧/٨١.

[٣٣] انظر : *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقى ، مادة « الباطل ».

[٣٤] سورة الجاثية ، ٤٥/ ٢٩.

[٣٥] سورة يونس ، ١٠/٥٣.

مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ »[٣٦] ، « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ »[٣٧] ، « ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ »[٣٨].

أَمَّا إن كلمة « الحق » التى تفيد معنى العدل بين الناس — وهو المعنى الذى من أجْله أشرتُ إلى بعض معانى الحق فى الاستعمال القرآنى — فإن ذلك يبدو واضحا حينما يَرِد « الحق » فى القرآن بحذاء كلمة « الظلم » ، وحينما يرد بجانبه أحد المشتقّات من مادة « الحكم » أو « القضاء » ؛ « وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ »[٣٩] ، « وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ »[٤٠] ، « رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ »[٤١] ، « فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ »[٤٢] ، « فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ »[٤٣] ، « وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ »[٤٤] ، « اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ »[٤٥] ، « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

---

[٣٦] سورة الذاريات ، ٢٣/٥١.

[٣٧] سورة يونس ، ٥٥/١٠.

[٣٨] سورة النبأ ، ٣٩/٧٨.

[٣٩] سورة المؤمنون ، ٦٢/٢٣.

[٤٠] سورة الزمر ، ٦٩/٣٩.

[٤١] سورة الأنبياء ، ١١٢/٢١.

[٤٢] سورة ص ، ٢٢/٣٨.

[٤٣] سورة ص ، ٢٦/٣٨.

[٤٤] سورة المؤمن ، ٢٠/٤٠.

[٤٥] سورة الشورى ، ١٧/٤٢.

النَّاسُ بِالْقِسْطِ »[٤٦].

وللعدل فى التعاليم الإسلامية منـــزلة تبلغ الغاية فى الدقة والأهمية. أما أهميته فتُشعرك بـــها عناية القرآن بالحديث المكرر عنه. وقد اتخذ له أسماء متعددة ، فسماه « الحق » ، وعبّر عنه بالقسط[٤٧] ، كما ذكره باسمه الصريح فى آيات متعددة أخرى ؛ « وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ »[٤٨] ، « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى »[٤٩] ، « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ »[٥٠] ، « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى »[٥١].

والعبارات عن العدل — وإن اختلفت — تشير جميعا إلى المعنى الذى تفيده كلمة الميزان ، وهو أن يتساوَى الناس فيما يجب أن يتساوَوْا فيه ، كما تتساوى كِفّـــتَا الميزان عند وزن الأشياء المادّية. وما ذُكر الميزان فى مقام حديث القرآن عن العدالة إلا لأنه الجهاز المحسوس الدقيق الذى يلجأ إليه الناس عندما يقصدون إلى الدقة فى تقدير الحقوق.

مِن أهداف الإسلام إذن أن يقيم العدالة بين الناس فى حياتـــهم الدنيا ، ومن هنا جائت ضرورة التشريع ، وتدخّل الدين الإسلامى فى حياة الناس ،

---

[٤٦] سورة الحديد ، ٢٥/٥٧.

[٤٧] انظر مثلا : سورة المائدة ، ٤٢/٥ ؛ وسورة الأعراف ، ٢٩/٧.

[٤٨] سورة الشورى ، ١٥/٤٢.

[٤٩] سورة الأنعام ، ١٥٢/٦.

[٥٠] سورة النساء ، ٥٨/٤.

[٥١] سورة النحل ، ٩٠/١٦.

يُنظّمها ويوجهها إلى كل سبيل يرى أنه يوصِل إلى تحقيق هذه العدالة. ومصادر التشريع الإسلامى مليئة بـــهذه التوجيهات ، ومظانُّها فى متناوَل اليد للذى يرغب فى الوقوف عليها.

والناس فى الإيمان بتعاليم الإسلام وفى تطبيقها والوقوف عندها تختلف مراتبُهم تَبَعاً للاستعداد الروحى الذى تختلف قوته من شخص لآخرَ. فبعضهم يُقبل على هذه التعاليم بكلّيته فتملأ عليه حواسّه وقلبُه ، وتُصبح حركاته وسكناته وخواطره كلها فى الظاهر والباطن صادرة وَفْقا لهذه التعاليم ، لا تكاد تَحِيد عنها. وبعضهم يُقبل عليها أحيانا وينصرف عنها أحيانا ، وهو فى حالة إقباله يحرِص على أن يتفق ظاهره وباطنه عند أدائها. وقسم ثالث من الناس حظه من هذه التعاليم ظواهرها.

وليس من العدل — وقد اختلفت درجات الناس فى تمثلهم لتعاليم الإسلام وقيامهم بـــها — أَنْ تتساوى درجاتـــهم ؛ ومن هنا اختلفت أسماؤهم تبعا لتفاوت درجاتـــهم فى فهم الإسلام والعمل به ، وتفاوتت درجاتهم عند الله. فهناك درجة « الإسلام » ، وهى لاتبلغ درجة « الإيمان » ، وهناك درجة « الإحسان » التى ترتفع عن درجتَى الإيمان والإسلام معا. ومن اختلاف هذه الدرجات سُمّى « المسلم » و « المؤمن » و « المحسن ».

وحديث جبريل الذى يشرح فيه رسول الله (ص) حقائق هذه الدرجات أبلغ ما تُنقَل فى هذا الصدد ؛ يقول جبريل : «...يا محمد ! اخبرنى عن الإسلام. فقال رسول الله (ص) : الإسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتىَ الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج

البيت إن استطعت إليه سبيلاً... قال : فأخبرنى عن الإيمان. قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره... قال : فأخبرنى عن الإحسان. قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٥٢].

و واضح من الحديث الذى ذكرناه أن جسم الإنسان وقلبه معا يشتركان فى القيام بأداء الواجبات الإسلامية. وقد يكون ممكنا أن تراقب القوانين والتشريعات الإسلامية أعمال الناس الظاهرةَ ، ولكنه من المتعذّر أن يَخضع لِرَقابتها ما يجرى فى قلوب الناس وضمائرهم.

والعدل كما صوره القرآن فى الحديث عنه يبلغ درجة من الدقة بحيث تكاد القوى البشرية تَعْجَز عن تحقيقه ، وإليك هذه الصورة من حديث القرآن عن « العدل » ، وسترى بعد قرائتها أنـــها فى حاجة إلى أدق الأجهزة لتحقيقها وإقامتها. يقول القرآن : « وَإِنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا فى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً »[٥٣] ، ثم يقول فى الموضوع نفسه : « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ »[٥٤]. فمهما حاول إذن من وُكِّل إليه تنفيذ القانون الإسلامى أن يحقّق هذا العدل بين الناس مَنَعه من الوصول إلى ذلك أمران : هذه الدقة فى العدل الذى يأمر الإسلام بتحقيقها ، وخفاءُ ما فى ضمائر الناس

---

[٥٢] *صحيح البخارى* ، الإيمان ، ٣٧ ؛ و *صحيح مسلم* ، الإيمان ، ٧.

[٥٣] سورة النساء ، ٣/٤.

[٥٤] سورة النساء ، ١٢٩/٤.

وقلوبـــهم ، بل وخفاءُ بعض أعمالـــهم الظاهرة عن أعين الحكام والمشرّعين.

وهنا يستعين الإسلام بضمائر الناس وبوجدانـــهم ، فيجعل منها رُقَباء و حكّاماً على ما لا تدركه العيون من الأعمال والخواطر والـــهواجس. وقد اتخذ الوسيلةَ إلى ذلك أَنْ قرر أنّ الله قد أحاط علمه بكل شيء ، وأنه لاتخفى عليه من أعمالِ الناس خافية ، وبذلك تُصبح أعمالـــهم الظاهرة والباطنة بالنسبة الى علم الله بـــها فى درجة من الوضوح واحدةً.

و فى القرآن من الآيات الدالة على إحاطة علم الله بالخفى وبالجلى من الأمور ما هو معروف ، وما نورده نماذج تكفى للدلالة على ما أردنا الدلالة عليه. فالله « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ ، واللهُ يَقْضى بالحَقِّ »[٥٥] ، « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ »[٥٦] ، و « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَة إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَة إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ولاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَـــبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَة »[٥٧] ، « رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ فِى الأَرْضِ وَ لاَ فِى السَّمَاء »[٥٨].

ضمائر الناس و سرائرهم إذن بمَرأًى من الله ومَسْمَعٍ. فإذا ما عدّ المسلم الغنى ماله الذى لا يعرف غيرُه مقدارَه ، وأدّى فى كل سنة واجبَ الله فيه ،

---

[٥٥] سورة المؤمن ، ١٩/٤٠-٢٠.

[٥٦] سورة النحل ، ١٩/١٦.

[٥٧] سورة المجادلة ، ٧/٥٨.

[٥٨] سورة إبراهيم ، ٣٨/١٤.

فإنه لا يفعل ذلك فى أمانة و إخلاص تحت تأثير الخوف من الحكومة أوالسلطان. فهما قد لا يعرفان مقدار ماله وما يجب عليه فيه ، ولكنه يفعل ذلك لأنه آمن بأن الله يعلم سرّه ونجواه ، فاستحيا أن يَكذب على ربه. وإذا ما حافظ المسلم الصائم على صيامه ، وقد ابتعد عن أعين الناس ، فإنه إنما يفعل ذلك لإيمانه بأن الله يراه ، وهو يستحيى أن يخالف أمر الله بين يَدَىِ الله.

وإذا لم يَسرِق المسلم ، وهو بحيث يمكنه أن يفعل ، فذلك لأنه آمن بأن الله ينظر إلى حركاته ، وهو بذلك يستحيى من الله أن يخالف عن أمره وهو ينظر إليه. وهكذا إلى مالا ينتهى من الأمثلة التى تدل على مَدَى أثر الرَّقابة الوجدانية فى رفع المستوَى الخُلُقى بين المسلمين. وبالوصول إلى هذا المستوى يتحقق قسط آخَرُ من العدل فى نظام الإسلام.

وهناك أناس سلوكهم مُعْوجّ لا يستقيم ، وأَحاسيسُهم مُتحجِّرة صَمَّاءُ لايَنفُذ إليها نداء الخير ؛ وبين هؤلاء يلتوى الطريق فلا يجرى العدل مجراه. وطاقة البشر لـــها حدود تقف عندها ولا تتجاوزها. وهناك — حيث تقف قوى البشر– تخفى الحقائق فتَضيع معالُم العدل.

ومن هنا جاء الإيمان باليوم الآخر حيث يتولّى الحكم بين الناس ربُّهم عالم سرهم ونجواهم ؛ « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ »[٥٩].

فالإيمان باليوم الآخر فى تعاليم الإسلام هو الحلقة الخاتمة لمراحل العدالة. إن العدالة الكاملة لا يكاد يحققها الناس للناس ، غير أنـــهم جاهدون فى تحقيقها امتثالاً لأمر الله ، فإذا ما خفيت عليهم معالمها وانحرفوا لـــهذا السبب

---

[٥٩] سورة المؤمن ، ١٧/٤٠.

أو لذلك ، يمينا أو شمالا عن سبيلها ، تولى الله جل جلاله الحكمَ يومَ ذاك بين الناس ، والله أعدل الحاكمين.

١

[حركة الزهد]

وزُهَّاد المسلمين من الصحابة حَرَصوا على أن تتفق ظواهرهم وبواطنهم فى امتثالـــهم لأوامر الله الدينية والدنيوية ، وكان إحساسهم بأن الله يَرقُب ظواهرهم وبواطنهم ويلازمهم . وهذه هى درجة الإحسان التى سلف شرحها فى حديث جبريل السابق.

ووُجد فيما بعد عصر النبوة والصحابة من التابعين وممن جاء بعدهم مَن كانوا يحرِصون على نيل درجة الإحسان هذه ، غير أنـــها لما فيها من المشقة البالغة لم تكن سبيل عامة المسلمين ، وإنما كان القادرون على احتمال مشاقها منذ بداية الإسلام قِلَّةً هم الخواص من المسلمين.

والواجبات والتكاليف الدينية فى الإسلام التى تعم الناس على تفاوتٍ قُصد فيها إلى السهولة واليُسر. يقول الرسول (ص) : « إن الدين يُسْر ، ولن يُشَادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسدِّدوا. وقاربوا ، وأبشِروا »[٦٠] ، كما قُصد فيها

---

[٦٠] *صحيح البخارى* ، الإيمان ، ٢٩.

استمرارها لأجل أن يكون الإنسان دائم الصلة بالله ؛ يقول الرسول (ص) أيضا : « أحب الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبه ، وإن قل »[٦١].

والمتشدّدون يَلحقهم المَلَل فتنقطع صلتهم بالله ؛ « إن هذا الدين متين فأوْغِل فيه برفق ، فإن المُنْبَتَّ[٦٢] لا أرضاً قَطع ، ولا ظَهراً أبقى »[٦٣].

ومن هنا نهى النبى (ص) عثمان بن مظعون عن التبتّل[٦٤]. والتبتل الذى عزم عليه عثمان بن مظعون أنه قد حرّم على نفسه النساء ، والطعام الطيب ، وكل ما يتلذذ به[٦٥] ، وقال : « إنى تركته لكى أتخلّى للعبادة »[٦٦] ، فنهاه النبى عما عزم عليه ، وقال له : « يا عثمان : إن الرَّهبانية لم تكتب علينا ، أ فما فِىَّ لك أسوة ؟ فوالله إنى أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده »[٦٧].

---

[٦١] *صحيح البخارى* ، الرقاق ، ١٨؛ و *صحيح مسلم*، المسافرين ، ٢١٥-٢١٦ ، ٢١٨.

[٦٢] يقال للرجل إذا انقُطِع به في سفره و عَطِبت راحلته : قد انْبَتَّ : من البَتّ وهو القطع. يريد أنه بقى فى طريقه عاجزاً عن مقصده لم يقض وطره و قد أعْطَبَ ظهرَها (*النهاية* لابن الأثير، « البتّ »).

[٦٣] *مسند أحمد بن حنبل* ، ١٩٩/٣ ؛ و *إرشاد السارى* للقسطلانى ، ١٢٤/١.

[٦٤] *صحيح البخارى* ، النكاح ، ٤٨ ؛ و *مسند أحمد* ، ١٧٥/١ ، ١٧٦ ، ١٨٧.

[٦٥] *تفسير الطبرى* ، ٦/٧-٩ ؛ و *فتح البارى* لابن حجر ، ١٠٢/٩.

[٦٦] *تفسير الطبرى* ، ٨/٧.

[٦٧] *مسند أحمد* ، ٢٢٦/٦ ؛ و *تفسير الطبرى* ، ٧/٧ ؛ و *صفة الصفوة* لابن الجوزى ، ١٧٩/١.

وقد سأل جمع من صحب رسول الله (ص) أزواجه عن عبادته. وحينما أُخبِروا قالوا ، وكأنـــهم استقلّوا عبادته : وأين نحن من رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم : أمّا أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوج النساء أبدا ؛ فجاء إليهم رسول الله (ص) فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أَمَا والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقُد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى »[٦٨].

وفى عثمانَ بن مظعون هذا ، وفى أناس من جُلّة الصحابة[٦٩] عزموا على رفض الدنيا ورفض أكل اللحم ، والبعض منهم حرم على نفسه أن ينام ، عزموا على ذلك ليَفْرَغوا لعبادة ربـــهم ، فى هؤلاء جميعا نزلت الآية : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُون »[٧٠].

وحلف عبد الله بن عمرو بن العاص لَيصومَنَّ الدهر مدةَ حياته ، فنهاه النبى (ص) لأنه لا يطيق أن يصومه ، فلما أصر عبد الله على أن يَبِرَّ بيمينه ،

---

[٦٨] صحيح *البخارى* ، النكاح ، ١ ؛ و صحيح *مسلم* ، النكاح ، ٥.

[٦٩] ذكر منهم على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وابن مسعود ، وأبو ذر ، وسلمان ، ومعقل بن مقرن ، والمقداد. انظر : *تفسير الطبرى* ، ٦/٧-٨ ؛ و*فتح البارى* لابن حجر ، ٨٩/٩-٩٠.

[٧٠] سورة المائدة ، ٨٧/٥-٨٨. انظر : *تفسير الطبرى* ، ٧/٧-٩.

قال له النبى (ص) : « لاصامَ من صام الأبَد » ، قالـــها مرتين[٧١] . وكلام النبى هذا إما دعاء على من يصوم الدهر — ولا يرجى خير من عمل يدعو النبى على صاحبه — وإما خبر ، وحينذاك يكون النبى قد نفى أن يكون هذا الصائم قد قام بعمل يثيبه عليه الدين ؛ فهو إذن هدر لا ثواب فيه. وقد امتدت بعبد الله السِّنون[٧٢] ، وعجز عن الوفاء بما كان حلف عليه وَنـــهاه النبى عنه من صيام الدهر وقيام الليل ؛ فكان يقول : يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله[٧٣] .

وكذلك نـــهى رسول الله (ص) أناساً من صحبه كانوا يصومون فيواصلون صومهم من غير أن يأكلوا أو يشرَبوا يومين أو أكثر ، نـــهاهم عن « الوصال »[٧٤] لأنه فوق طاقتهم ، وقال : « اكْلَفوا من العمل ما تطيقون »[٧٥] .

هذا هو موقف رسول الله (ص) من التشدد فى الدين ؛ نـــهى عنه صحبه وهداهم إلى أن « الإحسان » ليس طريقه الغلوَّ فى الدين. « إياكم والغلوَّ فى الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين »[٧٦] ، وإنما الإحسان فى لزوم الوسط ؛ « سدِّدوا وقاربوا »[٧٧] ، و « أحب العمل إلى الله

---

[٧١] *صحيح البخارى* ، الصوم ، ٥٧ ، ٥٩ ؛ وصحيح *مسلم* ، الصيام ، ١٨١ ، ١٨٦.

[٧٢] توفى سنة ٦٩هـ على خلاف ، وله من العمر ٧٢ سنة.

[٧٣] *الإصابة* لابن حجر ، ١١٢/٥.

[٧٤] *صحيح البخارى* ، الصوم ، ٣٠ ؛ وصحيح *مسلم* ، الصيام ، ٥٥-٦١.

[٧٥] *صحيح البخارى* ، الصوم ، ٤٩ ؛ وصحيح *مسلم* ، الصيام ، ٥٨.

[٧٦] *سنن النسائى* ، المناسك ، ٢١٧ ؛ وسنن *ابن ماجة* ، المناسك ، ٦٣.

[٧٧] *صحيح البخارى* ، الإيمان ، ٢٩.

أَدْوَمه وإن قل »[٧٨] ؛ وفى أن تكون ظواهر الإنسان وبواطنُه على اتفاق فيما يقوم به من أعمال.

إن الإحسان — وهو أعلى الدرجات فى الإسلام — شىء ، والغلوّ فى الدين شىء آخر ؛ أولـــهما يدعو الإسلامُ إلى الاتصاف به ، والثانى ينهى عنه ويَعدّه اعتداءً[٧٩] ، وخروجا عن سنة نبى الإسلام[٨٠].

و زهّاد المسلمين منذ مولد الزهد فى الإسلام ، وقبل أن يوجد « التصوف » فى الإسلام حرصوا فى حدود الاعتدال ، و ملازمة الصراط المستقيم ، وتجنب الغلو والإفراط ، حرصوا أن ينفّذوا تعاليم الإسلام تنفيذا تُعتبر دقته مثالاً من أروع الأمثلة فى تاريخ « الإيمان » وصفائه بين المتدينين ؛ وكانت جوارحهم وضمائرهم دائما تشترك فى أداء أعمالـــهم ، وسواء فى هذا أعمال الدين وأعمالُ الدنيا فى وجوب الإخلاص فيها ؛ فالإسلام لا يفرق بين أعمال الدين وأعمال الدنيا التى أباحها فى اعتبارها قرباتٍ عند الله.

وحينما ابتدأ التصوف فى الظهور كان أساسه الذى يقوم عليه هو درجةَ « الإحسان »[٨١] أيضا. وقد حرص الصوفية كما حرص سلفهم من زهاد

---

[٧٨] *صحيح البخارى* ، الرقاق ، ١٨؛ و *صحيح مسلم* ، المسافرين ، ٢١٥-٢١٦ ، ٢١٨.

[٧٩] انظر : سورة المائدة ، ٨٧/٥.

[٨٠] *فتح البارى* لابن حجر ، ٩٠/٩.

[٨١] انظر : *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٧.

التابعين والصحابة على أن تكون تعاليم الإسلام فى أصفى وأنقى صُوَرها هى المنهاجَ الذى ألزموا أنفسهم باتباعه وتطبيقه.

٢

[من الزهد إلى التصوف]

ووقوف القدماء من الصوفية عند حدود التعاليم الإسلامية ، والتزامهم لـــها ، وحَثّهم على اتباعها وتنفيذها تنفيذاً دقيقا - سواء فيما يقومون به من أعمال ظاهرة أو باطنة — أمرٌ قد طال فيه حديثهم ، وكثرت وعرفت فيه أقوالـــهم. ولـــهم بجانب هذا أقاويل مردَّدةٌ تكثُر فيها شكواهم ، وتعلو فيها بالنكير والإنذار والتحذير صَيحاتـــهم. وهى برُوحها وبالعبارات القاسية التى صِيغت فيها تشير إلى أن هناك دوافع جدية وخطيرةً حَدَتْ بالمخلصين منهم والحريصين على إبعاد التصوف الإسلامى عن حِمى الشُّبُهات ، ودفعتهم إلى إرسال هذه التحذيرات والإنذارات ، الْمَرَّةُ تِلْوَ المرّة ، بعد الذى عُرف بينهم من أن « التصوف إعراض عن الاعتراض »[٨٢].

---

[٨٢] *الرسالة* للقشيرى ، ١٥١ ؛ *والمحاضرات* للراغب ، ١٧١/٢ ؛ *وعوارف المعارف* للسهروردى ، ١٤٥.

ولا نُرَى هذه الدوافع تخرج عن أنّ هناك[٨٣] منذ القديم طوائف وأشخاصاً قد ساء فهمها للإسلام ، أو ساءت نيتها نحوه ، فَانْدَسّت بين صفوف الزهاد الوَرِعين ، واستثمرت مكانتهم فى قلوب المسلمين ، وانحرفت بالزهد الإسلامى ، وبالحياة الروحية فى الإسلام انحرافاً استدبرت به روحَ الإسلام ، وحادت به عن أهدافه التى فيها حَيَوِيَّتَهُ وقوته وبقاؤه ، وجلبت عليه وعلى أهله كثيراً من الإنكار والنقد[٨٤].

وأقوال الثقاة من شيوخ الصوفية فى تعريف التصوف تدلنا على الوِجهة التى كان التصوف الإسلامى يَتّجهها فى عهوده الأولى.

لقد كان التصوف فى جملته تطبيقا عمليا دقيقا لتعاليم الإسلام على حياة المسلم وسلوكه ، سواء كان هذا السلوك مما يتعلق بصلة الإنسان بربه ، أم كان مما يرجع إلى صلته بالناس ومعاشرته لـــهم. وأفعال المسلم الظاهرة المحسوسةُ والباطنة الخفية عن الحسّ فى عناية الإسلام بـــها وبتوجيهها وفى خضوعها لتعاليمه سواء كما قدمت. ومن هنا عُنِى المتصوفة بسلوك الصوفى فى المجتمع ، وبعلاقته بأفراده ، وبواجباته نحوهم ، عُنوا بذلك ذهابا منهم إلى أن تأدية الصوفى للواجبات الاجتماعية مِن أهمّ المعانى التى يقصد التصوف أو الزهد الإسلامى إلى تحقيقها.

ولهذا عرّفوا التصوف من حيث أنه أداء واجب حَيَوِىّ فى المجتمع

---

[٨٣] أى لا نظن أن هذه الدوافع بعيدة من أن هناك الخ.

[٨٤] فى مقدمتى *التعرف* للكلاباذى ، ٤ ، *والرسالة* للقشيرى ، ٣ ؛ *وقوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ٤٦/٢ ما يسند هذا.

الإسلامى بأنه « الدخول فى كل خُلُق سَنِىّ، والخروج من كل خلق دَنِى » ، وبأنه « أخلاق كريمة »[٨٥] ، وبأنه أيضا « خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء »[٨٦] ، و « ليس التصوف رسوماً ولا علوماً ، ولكنه أخلاق »[٨٧].

وهذه الأخلاق التى جعلوها معنىً للتصوف فسّروها بأنـــها « التآلف والتعاطف »[٨٨] ، وبأنـــها « رؤية أعذار الخلق ، وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الجميلة »[٨٩] ؛ كما فسروها بأنـــها « الحرية والفتوة ، وترك التكلف فى السخاء ، والتظرف[٩٠] فى الأخلاق »[٩١].

و« الفتوة » التى كانت تَعنى نفسَ ما كانت تعنيه كلمة « التصوف » قد ذكرتُ لها تفسير له — كما للتصوف — جهتان : إحداهما تُنَظّم صلة الإنسان بربه ، والأخرى تنظم صلته بالجمعية الإنسانية التى يعايش أفرادها ويعاملهم. فهى فى جانبها الأول « حفظ السر مع الله على الموافقة »[٩٢] ، وفى الجانب

---

[٨٥] *الرسالة* للقشيرى ، ١٥٠ ؛ و *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٤٣٦ ؛ و *تأييد الحقيقة العلية* للسيوطى ، ١٥.

[٨٦] *الرسالة* للقشيرى ، ١٥٠.

[٨٧] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ١٦٧.

[٨٨] المصدر السابق ، ٢٤٠ ، ٢٥٥.

[٨٩] المصدر السابق ، ٤٨٨.

[٩٠] أى ترك تكلّف الظرافة حالَ عدمه.

[٩١] المصدر السابق ، ٤٥٩.

[٩٢] المصدر السابق ، ٢١٦.

الثانى : « حفظ الظاهر مع الخَلْق بحسن العِشْرة واستعمال الخُلُق »[٩٣] ، و« تعظيم حرمة المسلمين »[٩٤] ، و« بذل المعروف وحسن الخلق »[٩٥] ، و« أن تَعْذِر إخوانك فى زَلاّتـــهم ، ولا تعاملَهم بما تحتاج أن تعتذر منه »[٩٦].

فوَضَح من أقوالـــهم هذه أن التصوف — وفى معناه الفتوة — من حيث أنه صلة بين الصوفى وربه « صفاء المعاملة مع الله » ، أو « حفظ السر مع الله على الموافقة »[٩٧]. ومن حيث أنه الصلة التى تنظم صلة الصوفى بالمجتمع وبأفراده ، يقوم بدور إيجابى فى بناء المجتمع الإسلامى على أسس خلقية إسلامية.

والتصوف حين يتحدث عن صلة الصوفى بالناس ، ويوجه هذه الصلة وينظمها يقرر فى صراحة أن الصوفى رجل يشارك الناس فى ألوان حياتـــهم ، ولا يمتاز عنهم بحياة معينة ، ولا ينعزل عنهم. وهو بـــهذه المشاركة فى بناء المجتمع الإسلامى وتقويته ، وبما لَه من تمسك بروح الإسلام يقتدى به الناس فى قوله وفى فعله ويتّبعونه ، فيفيد فى نشر الخلق الإسلامى والروح الإسلامى بين المسلمين. يقول أبو يزيد البِسطامى (ت. ٢٣٤هـ/٨٤٨م) : « من ترك قراءة القرآن ، والتقشّف ، ولزوم الجماعة ، وحضور الجنائز ، وعيادة المرضى

---

[٩٣] المصدر السابق ، ٤٣٦.

[٩٤] المصدر السابق ، ٥٠٥.

[٩٥] المصدر السابق ، ١٨٣.

[٩٦] المصدر السابق ، ١٥٨ ؛ *وتلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٨.

[٩٧] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٢١٦.

وادعى بـــهذا الشأن فهو مبتدع »[٩٨].

والتصوف بـــهذا المعنى هو الإسلام فى صفائه ، كما عَرَفَه السلف الصالح تلقيا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وتوجيهاته. وفهم الإسلام على هذا الوجه ، والاتصاف بأوصافه كان يعم جماهير المسلمين ، و لم تكن تختصّ به طائفة منهم دون أخرى. وإلى هذا المعنى يشير أبو الحسن البُوشَنْجِى (ت. ٣٤٨هـ/٩٥٩م) حيث يقول : « التصوف اسم ولا حقيقةَ ، وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسم »[٩٩].

---

[٩٨] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٧.

[٩٩] *طبقات الصوفية* للسلمي ، ٤٦٠.

٣

[مميزات التصوف]

أما من حيث أن هذا السلوك يجب أن يكون فى حدود التعاليم الإسلامية لايخرج عنها ، ولايخالفها ، فقد قال هؤلاء المتقدمون من الصوفية أيضا : إن التصوف « أصله ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع ، ...وترك ارتكاب الرُّخَص والتأويلات »[١٠٠] ، « وإذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لايجىء منه شىء »[١٠١]. وقالوا : إن التصوف هو « الصبر تحت الأمر والنهى »[١٠٢].

و« من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطل

---

[١٠٠] *الرسالة* للقشيرى ، ٣٥ ؛ و*طبقات الصوفية* للسلمي ، ٤٨٨. وقارنه بقول سهل التسترى فى *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٢١٠.

[١٠١] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٦.

[١٠٢] المصدر السابق ، ٣٤.

عمله »[١٠٣]. ويقول الجنيد (ت. ٢٩٧هـ/٩١٠م) : « مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة »[١٠٤]. و « الطرق كلها مسدودة على الخلْق ، إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سنته ، ولزم طريقته ؛ فإن طرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه »[١٠٥] ، و « أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدةً فى أوامره وأتْبعُهم لسنة نبيه »[١٠٦] ، و « من لم يَزِنْ أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ، ولم يتّهم خواطره فلا تعدَّه فى ديوان الرجال »[١٠٧] ، و « من رأيته يدّعى مع الله عز وجل حالة تُخرجه عن حد الشرع فلا تَقْرُبَنّه ، ومن رأيته يدّعى حالة لا يدل عليها دليل ، ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتـــهمه على دينه »[١٠٨].

و « من صفة الصوفى أن لا يتكلم بباطنٍ من علم يَنقُضه عليه ظاهر الكتاب والسنة »[١٠٩] ، « ولامقامَ أشرفَ من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم فى أوامره وأفعاله وأخلاقه »[١١٠].

وأقاويل الصوفية فى هذا الصدد لا يكاد يحيط بـــها الإحصاء والعدّ ،

---

[١٠٣] المصدر السابق ، ١٩-٢٠.

[١٠٤] المصدر السابق ، ٢٢ ؛ و *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٧.

[١٠٥] *طبقات الصوفية* للسلمي ، ١٥٩.

[١٠٦] المصدر السابق ، ٢١٤.

[١٠٧] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٠ ؛ و *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٨.

[١٠٨] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٣ ؛ و *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٨.

[١٠٩] *الرسالة* للقشيرى ، ١٢ ، ٢٣.

[١١٠] المصدر السابق ، ٢٨.

غير أن الذى ذكرناه منها يدل على موقفهم من تعاليم الإسلام ومن الذين يخرجون عن تعاليم الإسلام أو يتهاونون بـــها.

ولن يكون هذا السلوك موافقا لتعاليم الإسلام إلا بعد معرفة حقيقة الإسلام وأُسسه ؛ وملازمةُ الكتاب والسنة اللذَين طال حَضّ أعلام الصوفية على اتباعهما لا تمكن إلا بعد معرفة الكتاب والسنة وتفهّم معانيهما. ومن هنا كان واجبا على الذى يريد أن يَسلك سبيل التصوف أن يتعلم ؛ فبالعلم والعمل به يمكنه أن يكون صوفياً ، وأن يجعل سلوكه موافقا لتعاليم الإسلام[١١١].

يقول عبد الواحد بن زيد (ت. ١٧٧هـ/٧٩٣م) : « القائمون بعقولـــهم على فهم السنة ، والعاكفون عليها بقلوبـــهم ، والمعتصمون بسيدهم[١١٢] من شر نفوسهم هم الصوفية »[١١٣].

والصوفى ، كما قدمت لك ، قدوة المجتمع الإسلامى ، ولا يصح للاقتداء مَن يجهل علوم الشريعة وآدابـــها ، فـــ « من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ، و لم يتفقه لا يُقتَدى به »[١١٤].

ومن قول الحارث بن أسد المحاسبى (ت. ٢٤٣هـ/٨٥٧م) : « جعلك الله

---

[١١١] *عوارف المعارف* للسهروردى ، ٥٣ ؛ و*قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٣٠.

[١١٢] يعنى بالله تعالى.

[١١٣] *عوارف المعارف* للسهروردى ، ٨.

[١١٤] قاله الجنيد البغدادى ، انظر : *الرسالة* للقشيرى ، ٢٤ ؛ و*تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٧.

صاحب حديث صوفياً ، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث » ، ومعناه على ما بيّنه أبو طالب المكى (ت. ٣٨٦هـ/٩٩٦م) ، أنك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ، ومعرفة الأصول والسنن ، ثم تزهّدت وتعبدتَ تقدمت فى علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا ؛ وإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال ، شُغلتَ به عن العلم والسنن ، فخرجت إما شاطحاً أو غالطا ، لجهلك بالأصول والسنن ؛ فأحسنُ أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكَتْب الحديث لأنه الأصل[١١٥] . « فإذا ابتدأ الإنسان بالنَّسْك ، ثم كَتَبَ الحديث فَتَر ، وإذا ابتدأ بكتب الحديث ثم تنسك نفذ »[١١٦] ، وينسب إلى الإمام مالك رحمه الله (ت. ١٧٩هـ/٧٩٥م) : « من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق »[١١٧] .

وقد برز الشيوخ المشار إليهم بين الصوفية فى علوم الدين. فأبو القاسم إبراهيم بن محمد النَّصْرابادى (ت. ٣٦٧هـ/٩٧٧م) كان عالما بالحديث كثير الرواية[١١٨] ، وأبو حمزة البغدادى (ت. ٢٨٩هـ/٩٠١م) كان عالما بالقراآت فقيها ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يسأله فى المسائل »[١١٩] ، وعمرو بن عثمان المكى (ت. ٢٩٧هـ/٩١٠م) كان عالما بالأصول ، وروى الحديث[١٢٠] ؛ ورُوَيم

---

[١١٥] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٥٨ ؛ *والإحياء* للغزالى ، ١/٢٢.

[١١٦] قاله سرى السقطى (ت. ٢٥١هـ/٨٥٦م) ، وكان يسند الحديث ، *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٥٦.

[١١٧] *قواعد التصوف* للزروق ، ٣.

[١١٨] *الرسالة* للقشيرى ، ٣٥.

[١١٩] المصدر السابق ، ٢٨.

[١٢٠] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٢٠٠-٢٠١.

ابن أحمد البغدادى (ت. ٣٠٣هـ/٩١٥م) كان فقيها على مذهب داود الظاهرى الأصبهانى (ت. ٢٧٠هـ/٨٨٤م) ، كما كان مقرئاً[١٢١] ، وقد تولى القضاء ، ومحمد بن الفضل البلخى (ت. ٣١٩هـ/٩٣١م) سمع الحديث الكثير ، وكان من حكماء المشرق[١٢٢]، وحمدون بن أحمد القصار (ت. ٢٧١هـ/٨٨٤م) كان عالما فقيها يذهب مذهب الثورى (ت. ١٦١هـ/ ٨٧٨م) ، وكان يُسند الحديث[١٢٣] ، وكان الشبلى (ت. ٣٣٤هـ/٩٤٥م) - شيخَ وقته حالاً وظَرْفاً وعلماً - مالكىّ المذهب[١٢٤] ، وأبو على الرُّوذْبَارِىّ (ت. ٣٢٢هـ/٩٣٣م) كان فقيها محدثا أديبا صوفيا ، وكان شيخَه فى الفقه أبو العباس بن سُرَيْج (ت. ٣٠٦هـ/٩١٨م) ، وفى الأدب أحمد بن يحيى ثعلب (ت. ٢٩١هـ/٩٠٤م) ، وفى الحديث إبراهيم الحربى (ت. ٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، وكان الجنيد شيخه فى التصوف[١٢٥]. وكتب عبد الله بن مُنازل (ت. ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) الحديث الكثير ، وكان عالما[١٢٦] ، وكان الجنيد (ت. ٢٩٧هـ/٩١٠م) فقيها على مذهب أبى ثور (ت. ٢٤٠هـ/٨٥٤م) ، وكان يفتى فى حلقته بحضرته[١٢٧].

---

[١٢١] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٤ ؛ *وطبقات الصوفية* للسلمي ، ١٨٠.

[١٢٢] *حلية الأولياء* لأبى نعيم ، ٢٣٢/١٠.

[١٢٣] *طبقات الصوفية* للسلمي ، ١٢٣.

[١٢٤] *الرسالة* للقشيرى ، ٣٠ ؛ *وطبقات الصوفية* للسلمي ، ١٢٣.

[١٢٥] *الرسالة* للقشيرى ، ٣١.

[١٢٦] المصدر السابق ، ٣١.

[١٢٧] المصدر السابق ، ٢٨.

« هؤلاء وغير هؤلاء من أعلام متقدمى الصوفية سمعوا الحديث ، وجمعوا الفقه والكلام ، واللغة وعلم القرآن ، فجمعوا علوم الميراث إلى علوم الاكتساب ، تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم »[١٢٨].

ومن أجل هذا الذى قدمته : من حرصهم على العلم ، وعلى تبريزهم فيه ، واعتبارهم العلم بالحديث وبالفقه أساساً للاقتداء كانوا يرون أن خمسة من كبار الشيوخ أهلٌ للاقتداء بهم فى كل حال ، لأنهم - إلى ما أُلْهِموا من حقائق - كانوا على علم بالشريعة وعلومها. يقول ابن خفيف (ت. ٣٧١هـ/٩٨٢م) : «اقتدُوا بخمسة شيوخنا ، والباقون سَلِّموا لهم حالهم : الحارث بن أسد المحاسبى ، والجنيد بن محمد ، ورُوَيم بن أحمد ، وأبو العباس بن عطاء (ت. ٣٠٩/٩٢١م) ، وعمرو بن عثمان المكى ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق »[١٢٩].

تلك كانت حقيقةَ التصوف فى عهوده الأولى ، وهى حقيقة استهدف أهلها أن يتخلّقوا بدرجة « الإحسان »[١٣٠]. لقد علم القوم أن الله يراهم

---

[١٢٨] *التعرف* للكلاباذى ، ١٢.

[١٢٩] *الرسالة* للقشيرى ، ١٤.

[١٣٠] أقوال الصوفية فى بناء مذهبهم على درجة « الإحسان » من حديث جبريل ، تجده فى *كتاب اللمع* للسراج ، ٦ ؛ و*منازل السائرين* للهروى ، ٩٢٥ ؛ و*قواعد التصوف* ، ٣ ؛ و*عدة المريد* ، ورقة ٦ظ-٧و ، وكلاهما للشيخ زروق ؛ وفى *الأجوبة الكبرى* للفاسى ، ١٦٠ ؛ وانظر *شرح الإحياء* للزبيدى ، ٤٣٤/٨.

فاستحيَوا منه أن يراعُوا شيئا سواه[١٣١]. وقد جعلوا وسيلتهم إلى هذه الدرجة التزامَ تعاليم الإسلام ، فطبقوها على حياتـــهم الدينية والدنيوية معا تطبيقا دقيقا شمل جوارحهم وقلوبـــهم[١٣٢] من غير إسراف. وقد اتخذوا من حياة رسول الله (ص) ومن سلوك الصحابة الذين شاهدوه ونقلوا عنه هذا الدين ، وهداهم فى أدائه والقيام به إلى الصورة الصحيحة التى أرادها الله تعالى من المكلفين بـــهذا الدين ، اتخذوا من ذلك كله مثالا احتذَوه والتزموا حدوده.

ولم يكن هؤلاء الصحابة يترهّبون ويهجُرون الدنيا بالكلية ، وما كان لـــهم فى سلوكهم الدينى تفريط ولا إفراط ، بل كان أمرهم فى ذلك قواماً ؛ وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين ، وهو أحب الأمور إلى الله تعالى[١٣٣].

وقد وضَح من أقوال قدامى الصوفية وثقاتـــهم التى مرّ ذكرها أن موقفهم من الاشتراك فى الحياة الاجتماعية الإسلامية وتوجيهها توجيها إسلاميا ، ومن وجوب تعلم العلم وتعليمه ، وتمسكهم بالخلق الإسلامى والتواصِى بالتزامه ونشره بين المسلمين ، وَضَح من هذا كله أن موقفهم من هذه المسائل جميعاً لم يكن إلا تمثلا حيا دقيقا لروح الإسلام وتطبيقا لـــهذه الروح فى شئون دينهم ودنياهم معا.

فالإسلام روحانية تتعمق أعمال المسلم ووجدانَه ، وهو - إلى هذا -

---

[١٣١] كلمة ليوسف بن الحسين الرازى (ت. ٣٠٤هـ/٩١٦م) فى *شذرات الذهب* لابن العماد الحنبلى ، ٢/٢٤٥.

[١٣٢] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٢.

[١٣٣] *شرح الإحياء* للزبيدى ، ٨/١٤١-١٤٢.

حياة مادية تَزْخَر بالقوة. والإسلام حى قوىّ ما أفلح المسلمون فى المحافظة على الانسجام بين روحانيته وبين حياته المادية الزاخرة ، فإذا مالت إحدى الكفّتيْن أو أُهملت فَقَد الإسلام حقيقته وقوته ؛ « فالمؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[١٣٤] ، ولا مكان للعجز والتماوت والكسل والجبن فى تعاليم الإسلام. إن رسول الإسلام قد تعوّذ من العجز والكسل[١٣٥] ، وترك لأمته كلمة خالدة تستهدى بـــها حين تشتبه عليها معالُم الطريق ، حيث قال : « ... وفى كل خير احرِص على ما ينفعك ، واستعِن بالله ولا تَعْجَزْ »[١٣٦] .

والإسلام تقدير واقعى للحياة ولمقوِّماتـــها المادية ، يدعو إلى العمل ويُلحّ فى الدعوة ، وإلى الكفاح المتواصل من أجل هذه الحياة فى مختلف الميادين ما قامت بالمسلم الحياةُ. وهو فى الوقت نفسه يقدّر مُلحّا أيضا معنويات الإنسان : يهذّبـــها ويَصقُلها ، ويرتفع بـــها إلى الآفاق العليا من الروحانية السامية ؛ « فخيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كَلاًّ على الناس »[١٣٧] و « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة

---

[١٣٤] صحيح *مسلم* ، القدر ، ٣٤ ؛ وسنن *ابن ماجة* ، المقدمة ، ١٠، الزهد ،١٤.

[١٣٥] صحيح *البخارى* ، الدعوات ، ٣٦ ، ٤٠ ؛ و صحيح *مسلم* ، الذكر ، ٥٠.

[١٣٦] صحيح *مسلم* ، القدر ، ٣٤.

[١٣٧] رواه الخطيب فى *تاريخ بغداد* ، ٢١٢/٤ ، وهو فى *شرح الإحياء* للزبيدى ، ١٣٩/٨. وانظر فى هذا المعنى محاورة بين الإمام أحمد بن حنبل وأبى صفوان الرعينى فى *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ٢٦٧/٢.

للدنيا ، ولكن خيركم مَن أخذ من هذه لـــهذه ، يعنى الدنيا والآخرة »[١٣٨].

فعلى هذا الفهم الواقعى الحىّ للإسلام كان سَيْر قدامى الصوفية. فجاهدوا ورابطوا حيث دعت حماية دعوة الإسلام إلى الجهاد والرباط ، وتباعَوا واشتروا وتَجروا وزرعوا حيث دعتهم الحياة إلى البيع والشراء وغيرهما من وسائل الكفاح من أجل الحياة ؛ ووعظوا الناس والحكام ودلُّوهم على سبيل الخير والسُموّ بالأخلاق حين وُجدت الحاجة إلى الوعظ والإرشاد والدلالة على الخُلق والخير.

وكانوا فى هذه الأحوال جميعا القدوة الصالحةَ تـــهتدى بـــهَدْيها أفرادُ الأسرة الإسلامية الكبيرةِ وجماعتُها ، وتُحِلّها فى قلوبـــها مكان التَّجِلَّة والإكبار.

وعلى هذا الفهم الواقعى الحى أيضا كان التصوف مشارِكة فى الحياة الإسلامية يرفع من مستواها ولا يبتعد عنها.

وكان التصوف إلى هذا نَزْعة من النـــزَعات الروحية تنتظم فى سِلْكها الجماهيرُ من المسلمين على اختلاف طبقاتـــهم وصفاتـــهم ووظائفهم فى المجتمع الإسلامى ، ولم يكن لـــهم جميعا طابعٌ يتميزون به غيرَ ما ألزموا به أنفسَهم من الدقة فى تنفيذِ واتباعِ تعاليم الإسلام.

ومن هنا خَلَت كتب الفرق الإسلامية القديمةُ عن ذكر الصوفية كفرقة مستقلة لها أصولها ومميزاتـــها ، وإنما جاء حديث هذه الكتب عن الصوفية

---

[١٣٨] هذه رواية ابن حجر الهيتمى فى *الفتاوى الحديثية* ، ١٢٤ ، وذكر هذا الحديث الزبيدى فى شرح *الإحياء* ، ١٣٩/٨ ، وهو فى *كشف الخفاء* للعجلونى ، ١٦٩/٢.

أصحابَ الآراء الشاذّة والمنحرفة ، ومتناثراً بين مباحثها هنا وهناك[١٣٩]. حتى إذا ما امتد الزمن بالمجتمع الإسلامى ، وشمل التطور كلَّ مَرافقه بدأ المؤلفون المسلمون يُحسّون أن للصوفية سماتٍ تُميز بعض التمييز كِيانـــهم عن غيرهم من الفرق. فعبد القاهر البغدادى مثلا (ت. ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) الذى يخصص مكاناً للحديث عنهم بين الفرق الإسلامية فى كتابيه : «*أصول الدين*»[١٤٠] ، و«*الفَرْق بين الفِرق*»[١٤١] ، يعتبرهم طائفةً من أئمة الدين من أهل السنة[١٤٢] ، ويلاحظ كما لاحظت كتب الفرق الأخرى أن بينهم أشخاصا قد اعتنقوا آزاءً كانت مَثاراً للإنكار والنقد.

فإذا ما أصبح التصوف وسيلة من وسائل المعرفة ، وأصبح للمتصوفة منهاج فى البحث عن الحقائق يخالفون به مناهج البحث المتَّبعة لدى غيرهم من الفرق الإسلامية عدّهم الغزالى (ت. ٥٠٥هـ/١١١١م) فرقة مستقلة بين أصناف طالبى الحق تمتاز عن المتكلمين والفلاسفة وأصحاب التعليم من الباطنية ، فتخالفهم جميعا بمنهجها الذى يتخذ الوجدان والذوق والمشاهدة والكشفَ مقياساً لمعرفة الحق ، ومنهاجا للوصول إليه[١٤٣].

---

[١٣٩] انظر : *مقالات الإسلاميين* للأشعرى ، ١٣-١٤ ، ٢٨٨-٢٨٩ ، ٤٣٨-٤٣٩.

[١٤٠] ص ٣١٥-٣١٦.

[١٤١] ص ١٩٠.

[١٤٢] قارن : *شفاء السائل* لابن خلدون ، ١٠ ، *والرسالة* للقشيرى ، ٩ ، *والإحياء* للغزالى ، ١٣/١.

[١٤٣] *المنقذ من الضلال* للغزالى ، ٨ ، ٢٨ ؛ وشرح *الإحياء* للزبيدى ٦/٢.

وعلى منهج الغزالى سار الفخر الرازى (ت. ٦٠٦هـ/١٢١٠م) فى رسالته « *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين* » ، حيث يقول : « اعلم أن أكثر من قَصّ فرق الأمة لم يذكر الصوفية ؛ وذلك خطأ ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية ، وهذا طريق حسن »[١٤٤]. ثم ذكر بعد ذلك فرقا ستاً لكل فرقة منها رأى أو آراء تَبْنى عليها مذهبها.

و لم يخطىء مؤرخو الفرق ، كما خُيّل للفخر الرازى الذى لم يُدخل فى حسابه التطور الذى لحق التصوف فى حياته الطويلة حتى أولِ القرن السابع الـــهجرى ، ولكن المتصوفة فى عهودهم الأولى لم يكونوا كما مر بك فرقةً مستقلة لها أصول وقواعد تُميّزها عن غيرها من الفرق الإسلامية الأخرى.

على أنه قبل مولد الفخر الرازى ألّف نجم الدين عمر بن محمد النسفى (ت. ٥٣٧هـ/١١٤٢م) رسالة عرض فيها لفرق الصوفية وَحْدَهُم ، وقد ذكر فى رسالته[١٤٥] هذه اثنتَى عشرةَ فرقةً منهم. وعند تقديره لـــهذه الفرق وحكمه عليها من الوِجهة الدينية يقول : إن واحدةً من هذه الفرق لاغير هى التى تتمسك بتعاليم الإسلام ، أما بقيتها وهى احدى عشرة فرقة فكلها منحرفة عن هذه التعاليم[١٤٦].

ومن الواجب أن نقرر هنا أن كلمة « الصوفية » كانت فى بدايتها لا

---

[١٤٤] *اعتقادات فرق المسلمين* ، ٧٠.

[١٤٥] منها نسخ عدة ؛ انظر بروكلمن ، الأصل ، ٢٦١/١ ، وملحق ٦٦٢/١.

[١٤٦] ورقة ٢١٠ظ (نسخة سليمانية رقم ١٠٢٨).

تَعنِى غير « الخواص من أهل السنة »[١٤٧] ، فهم المنفردون بلقب الصوفية من بين زهاد بقية الفرق. ولم يكن قط لأحد من أهل البدعة فى التصوف حظ[١٤٨] ، ومن انتمى إلى بدعة لم يفتح له بشىء من هذا العلم[١٤٩] .

وسنرى أن لـــهذا الاستعمال المحدَّد الضيّق أثرَه فى نظْرة العلماء المسلمين إلى التصوف وحكمهم على أهله.

---

[١٤٧] *الرسالة* للقشيرى ، ٩ ؛ و*شفاء السائل* لابن خلدون ، ١٠ ؛ و *الإحياء* للغزالى ، ١٣/١.

[١٤٨] *التبصير فى الدين* للإسفراييني ، ١١٨.

[١٤٩] *الإحياء* للغزالى ، ١٣/١

٤

[الانحراف عن الاعتدال]

وبعدَ أن استقلّت الطائفة الصوفية بخواص عرفها الناس من بين سائر الفرق ، ثم بمنهاج خاص بـــها فى البحث ، ضَمّت تحت لوائها جماعاتٍ يختلفون فى ثقافاتـــهم ، وفى فهمهم للإسلام ، وفى معرفتهم بأصوله ؛ ثم هم بعد ذلك مختلفون فى المذهب والغرض أيضا.

وظهرت آثار هذا الاختلاف فى أحوالـــهم وفى سلوكهم معا ، كما ظهرت آثاره فى أحكام المفكرين المسلمين التى أصدروها على التصوف والمتصوفة.

وثقات الصوفية وكبارُهم فى مقدمة مَن فَقَدوا ثِقتهم بكثير من المنتسبين إلى التصوف. وكان يثير إنكارَهم ما كانوا يرونه فيهم من الانحراف وعدم الصدق فى سلوك هؤلاء المنتسبين إلى التصوف وفى أقوالـــهم. ذكر عند الحسن البصرى (ت. ١١٠هـ/٧٢٨م) الذين يلبَسون الصوف فقال :

« ما لـــهم ، تفاقدوا ! »[١٥٠] ثلاثا ، « أكَنّوا الكبر فى قلوبـــهم ، وأظهروا التواضع فى لباسهم ، والله لأحدُهم أشدّ عُجْباً بكسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه »[١٥١]. ويقول الفُضَيْل بن عِياض (ت. ١٨٧هـ/٨٠٣م) : « تباعَدوا عن القرّاء ، فإنـــهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك ، وإن أبغضوك شهدوا عليك وقُبل منهم »[١٥٢]. وكلمة « القرّاء » تعنى ما تعنيه كلمة « الصوفية »[١٥٣] ؛ ويَروى أبو طالب المكى (ت. ٣٨٦هـ/٩٩٦م) حديثا لفظه : « أكثر منافقى أمتى قُرّاؤها »[١٥٤] ، ويعنى بالقراء كذلك الصوفية.

لقد أصبح التصوف بين أدْعيائه مَظاهرَ جَوْفاء ، ووسائل لطلب الدنيا. وكان هذا الاتّجاه المعوجّ يثير سَخَط أعلام التصوف فيُصدرون على أولئك المنحرفين أحكاما قاسية. يقول أبو الحسن النورىّ (ت. ٢٩٥هـ/٩٠٧م) فى وصف متصوفة زمانه وقياسهم بمن سلف منهم : « كانت الْمَرَاقِع[١٥٥] غِطاءً على الدُّرّ ، فصارت اليومَ مزابلَ على جِيَف »[١٥٦]. وكان أبو محمد سهل

---

[١٥٠] دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا.

[١٥١] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى (نشر الحرستانى) ، ٢٥٤.

[١٥٢] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ١١ ؛ و *طبقات الصوفية* للشعرانى ٥٨/١ ؛ وانظر ٦١/١ منه أيضا.

[١٥٣] *الأربعين فى أصول الدين* للغزالى ، ١٣٠ ؛ *الفرقان* لابن تيمية ، ٣٦.

[١٥٤] رواه أحمد بن حنبل فى *المسند* ، ١٧٥/٢ ، ١٥١/٤ ؛ والهيثمى فى *مجمع الزوائد* ، ٢٢٩/٦-٢٣٠ ؛ وانظر : *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١١٨/١.

[١٥٥] يريد الملابس المرقعة التى كانت لباس سلف الصوفية تقللا من هذا الحطام.

[١٥٦] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٣.

التسترى (ت. ٢٨٣هـ/٨٩٦م) يُحسّ نفس الإحساس ؛ وفى كلماته التالية : « بعد سنة ثلاثمائة لا يحل أن يُتكلم بعلمنا ، لأنه يحدّث [به] قوم يتصنعون للخلق ، ويتزيّنون بالكلام لتكون مواجيدهم لباسَهم ، وحليتهم كلامهم ، ومعبودهم بطونـــَهم »[١٥٧] ؛ أقول : فى هذه الكلمات تعبير عن سخط مضطرم.

و لم يَعُد لكلامهم ومواعظهم بعد أن فقدوا صفتَيِ الصدق والإخلاص أثرٌ على نفوس المستمعين. قيل لحمدون القصار (ت. ٢٧١هـ/٨٨٥م) : « ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ قال : « لأنـــهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق »[١٥٨].

هذه – ولها أشباه – أحكام الصوفية العامةُ على التصوف حينما ظهر بين أهله التصنّع والاحتفال للخلق.

و هناك مواقفُ لهم تُجاهَ مسائل خاصة معينة أنكروا فيها مذاهب وآراء شذّ فيها طوائف من الصوفية. فمن هذه المسائل مثلا قول بعض الصوفية فى النبوة. لقد وُجد بينهم من يجوّز أن يَكْذِب الأنبياء فى أقوالهم التى أمرهم الله بتبليغها إلى الناس. وهؤلاء يرون أن ظواهر النصوص الشرعية وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان وما يكون من أمور الآخرة مثل الحشر والقيامة والجنة والنار ليس فيها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم

---

[١٥٧] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١٦٢/١.

[١٥٨] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ١٢٥.

خطابها. وإنما خاطب بها الأنبياء أممهم على جهة المصلحة لهم ؛ إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم[١٥٩].وهو قول ، كما نرى ، لا يُبقى قيمة للنصوص الشرعية ، وينتهى إلى أن تتعطل أوامر الشريعة ونواهيها[١٦٠].

والنبوة نفسها فى نظر بعض غلاة الصوفية صفة يمكن للإنسان اكتسابـــها والوصول إليها عن طريق الرياضة وصفاء القلب ، ومن هنا ساغ لبعضهم أن يدعى النبوة لنفسه[١٦١].

وقال قائلون منهم : إنه من الجائز أن تظهر الخوارق والمعجزات على يد الصالحين[١٦٢]. وآخرون منهم قالوا : إن العبادات تبلغ بـــهم أن يكونوا أفضل من النبيين والملائكة المقرَّبين[١٦٣].

وتَرخّص المتصوفة بالسماع والرقص وصحبة النساء والأحداث ، فمال إليهم طلاّب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللَّعِب[١٦٤]. ووُجد بينهم من مال إلى إطراح الشرائع ، وزعم أن الإنسان ليس عليه فرض ، ولا تلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده[١٦٥]. وأضاف بعضهم إلى هذه الدعوى قوله : إن المحظور

---

[١٥٩] *الشفا* للقاضى عياض ، ٤/٥٠٣-٥٠٤.

[١٦٠] المصدر السابق ، ٤/٥٠٣-٥٠٤.

[١٦١] المصدر السابق ، ٤/٥٠٧-٥٠٨.

[١٦٢] *مقالات الإسلاميين* للأشعرى ، ٤٣٨-٤٣٩.

[١٦٣] المصدر السابق ، ٢٨٩ ، ٤٤٠.

[١٦٤] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٦٠.

[١٦٥] *مقالات الإسلاميين* للأشعرى ، ١٣.

على غيرهم من المحرمات مباح لهم إذا بلغوا إلى هذه المنـــزلة[١٦٦] التى سمّوها منـــزلة الخاصة[١٦٧]. وكثرت هذه المقالات بين متأخرى المتصوفة ، ولم تكن معروفة بين المتقدمين[١٦٨].

وهى مقالات كانت تَضيق بـــها صدور المسلمين ، وكان على أصحابـــها أن يجدوا لها ما يُسندها من القرآن من قريب أو من بعيد ؛ ومن هنا لجأوا إلى تأويل الآية : « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين »[١٦٩] تأويلا يؤيدهم فى مذهبهم فقالوا : « أى فإذا وصلت إلى مقام اليقين فقد سقطت عنك العبادة »[١٧٠]. وجاء فى التفسير المنسوب إلى محيى الدين بن العربى (ت. ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، فتنتهى عبادته بانقضاء وجوده فيكون هو العابد والمعبودَ جميعا لا غيره »[١٧١].

ومنهم من قال فى تأويله : « سَلَّمنا أن المراد باليقين الموت ، فنحن قد أمتْنا نفوسنا بالكلية فارتفعت عنا تكاليف العبادة... » فإذا دخل ضالّ مثله فى سِلْكه أَمَر [به] أن يُغسل ويكفّن ويُجهّز تجهيز الموتى ، ثم يَتقدم فيصلى عليه صلاة الجنازة ، ثم يقول : « قم فقد صرت فى عِداد الموتى ، وسقطت

---

[١٦٦] المصدر السابق ، ٢٨٩.

[١٦٧] *رسالة العبودية* لابن تيمية ، ١٠.

[١٦٨] المصدر السابق ، ١٠.

[١٦٩] سورة الحجر ، ٩٩/١٥.

[١٧٠] *شرح الإحياء* للزبـــيدى ، ٢٣٩/٨.

[١٧١] المصدر السابق ، ٢٥٣/١.

عنك التكاليف ». وكل ذلك تلبيس وضلال وشناعات ، وغالب الملاحدة على ذلك وبعض طوائف من جهلة المتصوفة[١٧٢].

وقد أنكر الصوفية الموثوق بـــهم كلّ هذا على أصحابه ، وعدّوه من الكبائر. سئل أبو على الرُّوذْبارِىّ (ت. ٣٢٢هـ/٩٣٤م) عمن يسمع الملاهى ويقول : « هى لى حلال ، لأنى وصلت إلى درجة لا تؤثر فىّ اختلافات الأحوال » ؛ فقال : « نعم وصل ، ولكن إلى سقر »[١٧٣].

وذكر رجل « المعرفة » للجنيد (ت. ٢٩٧هـ/٩١٠م) وقال : « أهل المعرفة بالله يَصلون إلى ترك الحركات من باب البر و التقوى ؟ » فقال الجنيد : « إن هؤلاء قوم تكلموا بسقوط الأعمال ، وهذه عندى عظيمة ، والذى يسرِق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا »[١٧٤].

وأقوال الصوفية المتكررةُ فى النكير على أولئك الذين كانوا يصحبون الأحداث و يعاشرون النساء ، و تخصيصُ القشيرى (ت. ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) فى رسالته فصلاً خاصا للحديث عن هذه الظاهرة[١٧٥] ، فضلا عما ذكره من التنفير منها ، مفرَّقا على الأبواب و تراجم الشيوخ[١٧٦] ، أقول هذه الأقوال

---

[١٧٢] المصدر السابق ، ١٣٩/٨.

[١٧٣] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٢ ، و*طبقات الصوفية* للسلمى ، ١٥٩.

[١٧٤] *الرسالة* للقشيرى ، ٢١٧ ؛ وانظر *فيصل التـــفرقة* للغزالى ، ٩٤.

[١٧٥] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٤-٢٩ ؛ و*طبقات الصوفية* للسلمى ، ١٩٠ ، ٢٠٤.

[١٧٦] *الرسالة* للقشيرى ، ٢١٧.

جميعا و هذه الصنيع من القشيرى يدلان على أن هذه الآفة كانت عامة ، كما أن آثارها على الأخلاق كانت سيئة منكَرة ، وأنها مع ذلك كله أصبحت متأصّلة فى النفوس ، وأصبح من العسير تجنّبها. وفى قول يوسف بن الحسين الرازى (ت. ٣٠٤هـ/٩١٦م) : « نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أُتُوا. ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وإرفاق النسوان ، ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرةٍ أن لا أصحب حَدَثا ، فَفَسَخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود و غُنْجُ العيون ، و ما سألنى الله معهم عن معصية »[١٧٧] ؛ فى هذا القول ما يدلك على عمق الجُرْح الذى كانت تتركه هذه الصحبة فى القلوب.

والجماعة التى تستحسن النظر إلى الوجوه الحسنة تُسمِّى هؤلاء الأحداث « الشواهد » ، وترى أن الله تعالى يصطفى أجساماً حسنة جميلة فَيَحُلّ فيها[١٧٨] . ويقول القشيرى معقّبا على هذه المذهب : إنه « من وسائس القائلين بالشاهد ، ... وهو نظير الشرك ، وقرين الكفر »[١٧٩] .

---

[١٧٧] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ١٧٠. يريد أنه لم يرتكب أى فاحشة معهم.

[١٧٨] *الرسالة* للقشيرى ، ٢١٧-٢١٨ .

[١٧٩] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ٣٢٨.

٥

[العلم الظاهرى والعلم الباطنى]

والعلم الذى ترفع التعاليم الإسلاميةُ الاشتغالَ به إلى درجة الواجبات التى يجب على المسلمين القيام بـــها ، وَقَف المتصوفة مِن تعلمه موقف المنفّر المشكِّك فى قيمته وفى صحة الطرق التى يُتوصَّل بـــها إليه ، فكانوا يمنعون المنتسبيـــن إلى التصوف من تعلم العلم. يقول جعفر الْخُلْدى (ت. ٣٤٨هـ/٩٥٩م) : « لقينى بعض أصحابى من الصوفية وبيدى أوراق كتبت فيها مجلسا من الحديث ، فسألنى عنها فأريته إياها فقال : ويحك ! تدع علم الخَرَق[١٨٠] وتأخذ علم الورق ، ثم خرق الأوراق. فدخل كلامه فى قلبى فلم أَعد إلى طلب الحديث »[١٨١]. وكان أبو سعيد الكندى (ت. ٢٥٧هـ/ ٨٧١م) ينـــزل رباطا للصوفية ويطلب الحديث فى خُفْية بحيث لا يعلم به

---

[١٨٠] أى علم الدهشة و التحير و هو علم الباطن.

[١٨١] المصدر السابق ، ٣٢١ ، ٣٢٩.

صوفية الرباط ، « فسقطت الدواة يوما من كُمّه فقال له بعض الصوفية : استر عورتك »[١٨٢]. ورمى أحمد بن أبي الْحَوَارى (ت. ٢٤٦هـ/٨٦٠م) ، وبشر بن الحارث (ت. ٢٢٧هـ/٨٤١م) ، وأبو الحسين بن الخلال (ت. ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) ، والشبلى (ت. ٣٣٤هـ/٩٤٥م) رَمَوا جميعا بما كتبوه وسمعوه من الشيوخ من كتب العلم فى الماء وأتلفوه[١٨٣]. وكان الجنيد (ت. ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) يقول : « أُحِب للمريد المبتدئ أن لا يشغَل قلبَه بـــهذه الثلاث وإلاّ تَغيّر حاله : التكسب وطلب الحديث والتزوج » ؛ ويقول : « أحب للصوفى أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمّه »[١٨٤]. وكانوا يُبرّرون هذا الموقف السلبى من تعلم العلوم ، بأن هذه العلوم ما عدا التصوفَ علوم دنيوية ، لا ينتفع بـــها فى الحياة الأخروية[١٨٥]. يقول بشر بن الحارث : « حَدَّثَنا وأخْبَرَنا ، باب من أبواب الدنيا ، والحديث ليس من زاد الآخرة...وإذا سمعت الرجل يقول : حدثنا وأخبرنا ، فانما يقول : أوسِعوا لى »[١٨٦]. وفتنة الحديث فيما تقول رابعة العدوية (ت. ١٨٥هـ/٨٠١م) أشد من فتنة المال والولد[١٨٧]. وكتابة الحديث والاشتغال بعلوم العقل ركون إلى الدنيا وطلب للمعاش. وبـــهذا

---

[١٨٢] المصدر السابق ، ٣٢٥-٣٢٦ ؛ *والإحياء* للغزالى ١/٤٠.

[١٨٣] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/٢٦٧.

[١٨٤] *الإحياء* للغزالى ، ١/١٢-١٤.

[١٨٥] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٥٦-١٥٧ ؛ *والإحياء* للغزالى ، ١/٤٠.

[١٨٦] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٥٦-١٥٧.

[١٨٧] المصدر السابق ، ١/١٥٧ ؛ *والإحياء* للغزالى ١/٤٠.

المعنى كان أبو سليمان الدارانى (ت.٢١٥هـ/٨٣٠م) يفسر الآية « وَ لَوْ لاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ »[١٨٨] فكان يقول : « أى لولا أن ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تَسْكُن إلى علوم العقل » ؛ وكان يَعدّ من الركون إلى الدنيا كتابة الحديث[١٨٩]. فالتدقيق فى القياس و النظر ، والتبحر فى علوم النحو والعربية ، أوله كبر وآخره بغى... والنحو يُذهب الخشوع من القلب[١٩٠]. وكثير من الكلام والرأى والجدل الذى هو حقيقة جهل ، وعلوم المقاييس ، والنظر والاستدلال على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأى والمعقول صار كأنه علم عند الجاهلين ؛ فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء ؛ وهذه علوم لم تكن تعرف فيما سلف[١٩١].

وإذا ما نقد النُّقّاد نَقَلة الحديث ورواة الأخبار ، وبيّنوا لطلاّب العلم الثقة من هؤلاء الرواة وغيرَ الثقة ، وأقاموا لقبول الأخبار قواعد وأصولا تستمد وجودها وقوتَها من العقل والنقل ، ليدفعوا خطر التحريف عن الدين الإسلامى إذا ما فعلوا ذلك ، قال المتصوفة : « إن هؤلاء يغتابون الموتى » ، وتركوا مجالس العلم لأن الغيبة حرام[١٩٢]. يقول بعضهم : كنا نترك مجالسة

---

[١٨٨] سورة الإسراء ، ٧٤/١٧.

[١٨٩] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١٦٦/١.

[١٩٠] المصدر السابق ، ١٦٠/١ ، ١٦٤ ؛ *والإحياء* للغزالى ٢٥/١ ، ٢٧.

[١٩١] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١٧٨/١ ؛ *وتلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ٣٣٧. وهذا الموقف يشبه موقف الحنابلة من العلوم النظرية الإسلامية.

[١٩٢] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١٧٨/١.

شُعْبَة (ت. ١٦٠هـ/٧٧٦م)[١٩٣] لأنه كان يُدخلنا فى الغيبة[١٩٤]. ويقول آخر لعبد الرحمن بن أبى حاتم (ت. ٣٢٧هـ/٩٣٨م) : « استحييت إليك يا أبا محمد ! كم من هؤلاء القوم قد حَطُّوا رواحلهم[١٩٥] فى الجنة منذ مائة سنة وأنت تغتابهم على أديم الأرض »[١٩٦].

و لا يقف المتصوفة عند الحكم على هذه العلوم وأهلها فى حياتنا الدنيا هذه وحَسْبُ ، بل إنهم كانوا يُصدرون أحكامهم على حياة هؤلاء العلماء وَيحددون مكانتهم فى الآخرة أيضا. فعلماء الدنيا أهل « الخبر و اللسان » ، والقضاة كلهم زينة الأرض والمُلك ، وهم يُحشرون يوم القيامة فى زمرة الولاة والسلاطين ؛ أما علماء الباطن أرباب القلوب والعيان ، فهم زينة السماء والملكوت ، وسَيُحشَرون فى زمرة الأنبياء[١٩٧].

و على الرغم من أن المشار إليهم من قدامى الصوفية وثقاتهم كان لهم الحظ الواسع من العلوم الإسلامية[١٩٨] هذه ، حيث سمعوا الحديث وجمعوا الفقه والكلام واللغة وعلم القرآن[١٩٩]، وعلى الرغم من أن ابن خفيف (ت. ٣٧١هـ/

---

[١٩٣] محدث مشهور.

[١٩٤] القائل هو يوسف بن الحسين الرازى.

[١٩٥] حطّ رِحله : أقام.

[١٩٦] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٥٦-١٥٧.

[١٩٧] انظر *الرسالة* للقشيرى ٢٨ ، ٤٥ ؛ و*طبقات الصوفية* للسلمى ، ٢٠٠-٢٠١.

[١٩٨] *التعرف* للكلاباذى ، ١٢.

[١٩٩] *الرسالة* للقشيرى ، ١٤.

٩٨٢م) - وهو أحد الأعلام الخمسة الذين تواصى الصوفية بالاقتداء بـــهم - قد حذّر من هذه الأقوال وبيّن عواقبها حيث يقول : «اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرّنكم كلام الصوفية ، فإنى كنت أُخبئ مِحْبَرتى فى جَيب مِرقَعتى والكاغدَ فى حُرّة سراويلى ، وكنت أذهب خُفْية إلى أهل العلم ؛ فإذا علموا بى خاصمونى وقالوا : لا تُفلحْ ، ثم احتاجوا إلىّ بعد ذلك »[٢٠٠]. أقول : على الرغم من ذلك جميعه فإن موقف المتصوفة من تعلم العلوم التى سموَّها علوم الظاهر وعلومَ الدنيا ، كان يزداد سلبيّة وابتعادا. وكان التطور الفكرى الذى يغيّر قيم الأشياء فى المجتمع الإسلامى ، والعناد ، والغرورُ كان كل ذلك ومعه غيره يدفع بـــهم إلى أن يُسندوا آراءهم وموقفهم السلبىَّ مِن هذه العلوم فيوجّهوا إليها وإلى طرق تحصيلها اعتراضاتٍ جديدةً متلاحقة.

لقد ظهرت أقوال للمتصوفة تشير إلى أنهم استبدلوا بـــهذه العلوم الظاهرة علما آخر لا يعتمد على طريق الرواية واستخدام العقل فى فهم المرويات واستنباط الأحكام منها ، ولكنه يعتمد على الإلهام الذى يَفيض على قلبهم من جانب الله تعالى مباشَرة وبغير واسطة. وكانت هذه الأقوال فى بدايتها مجردة عن الأدلة ، عاريةً عن الحجج ، غير أنها لم تَلْبَث أنْ أصبح لها أدلتها وبراهينُها بين المتأخرين منهم الذين جعلوا هدفهم يُعْنَى بتقوية « المعرفة الإلهامية » بقدر ما يُعْنَى بالحطّ من قيمة أنواع المعرفة الأخرى التى تُحصَّل بوسائلَ غيرِ الإلهام والفيض.

قيل لبعض الصوفية : « أَلاَ تذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق

---

[٢٠٠] *تأييد الحقيقة العلية* للسيوطى ، ٢٨.

(ت. ٢١١هـ/٨٢٦م) » ؟ فقال : « ما يَصنع بالسماع مِن عبد الرزاق مَن سمع مِن الْمَلِك الخلاّق »[٢٠١]. وكان أبو يزيد البِسطامى (ت. ٢٣٤هـ/٨٤٨م) يقول فى حديثه عن علماء الظاهر : « مساكين أخذوا علمهم ميّتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت »[٢٠٢]. ويقول : « ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فإذا نسى صار جاهلا ، إنما العالم الذى يأخذ العلم من ربه فى أى وقت شاء بلا تحفّظ ولا درس »[٢٠٣]. وذوالنون المصرىّ (ت. ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) كان يقول أيضا : « علم الظاهر "حَدَّثنا وأخبرنا ونهانا وأمرنا" ، وعلم الباطن مواهب من الله و ميثاق منه على خالصته يحكم به عليهم فيما بينه وبينهم ، لا يطّلع عليه ملك مقرَّب ولا نبى مرسل »[٢٠٤]. واشتهر بين المتصوفة قولهم : « حدثنى قلبى عن ربى »[٢٠٥] ردا على قول المحدثين « حدثنا فلان وأخبرنا فلان ».

وعلم الخبر (العلم الظاهر) يَدخله الظن والشك ، والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك[٢٠٦]. وفى علم اليقين غُنْية عن جميع العلوم لأنه حقيقة العلم وخالصته ، وليس فى جميع العلوم غِنى عن علم اليقين[٢٠٧]. وصاحب الهمة

---

[٢٠١] انظر الرسالة للقشيرى ، ١٤-١٥.

[٢٠٢] *الإحياء* للغزالى ، ١٦/٣ ؛ و*مناقب الأبرار* لابن خميس ، ٧٧و.

[٢٠٣] *الإحياء* للغزالى ، ١٦/٣ ؛ و*شفاء السائل* لابن خلدون ٢٦.

[٢٠٤] *تلبيس إبليس* لابن الجوزى ، ٣٢١.

[٢٠٥] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١٥٧/١.

[٢٠٦] المصدر السابق ، ١٥٧/١.

[٢٠٧] *الفتوحات المكية* لابن العربى ، ٣١/١.

يحصل له فى خلوته... من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة[٢٠٨] بل كل صاحب نظر وبرهان[٢٠٩].

والعقل لا علم عنده ، إنما يكتسب العلوم عن طريق الحواس. فهو لا يعرف الألوان إلا إذا تفضّل عليه بـــها البصر. والخيال فقير إلى هذه الحواس فلا يتخيّل إلا ما تعطيه هذه القوى ، والخيال بعد ذلك يعتمد فى بقاء الصوَر فيه على القوة الحافظة ؛ والقوة الحافظة يطرأ عليها الخلل فتنسى كل شئ ، وهنا تأتى القوة المذكّرة فتستحضر ما غاب عن العقل... وما من قوة من هذه القوى إلا ولها أغاليط وموانعُ يحتاج معها إلى ميزان لمعرفة الخطأ من الصواب[٢١٠].

هذا هو الفكر الإنسانى — فى نظر المتصوفة — الذى يُعتمد فى العلم الظاهر عليه ، وهذه درجته من حيث قوّته والثقةُ به[٢١١]. أما العلم الإلهامى القلبى فأهله يعتمدون فيه على الله سبحانه ، وهم يجدون فيه وبه من الْجَلاء ما لا يجدونه بقياس الشاهد على

---

[٢٠٨] أى على الأرض.

[٢٠٩] المصدر السابق ، ٢٨٩/١.

[٢١٠] المصدر السابق ، ٢٨٩/١.

[٢١١] المصدر السابق ، ٢٨٩/١ ؛ وانظر *شفاء السائل* لابن خلدون ٢٤-٢٥.

الغائب[٢١٢] ، ولا سيما وقد عَرف[٢١٣] مأخذ العقول من أين هو ، ومن أين تُرَكَّب براهينها وأدلتها. فالقصور منوط ، والإقدام على هذه الأمور غير حسن. وكل ما لا يمكن حصوله إلا بالمشاهدة والرؤية أو التعريف ، فحصوله من غير هذه الطرق افتيات[٢١٤] على المقام (مقام الألوهية) وجرأة[٢١٥]

وفى حديثنا عن العلم الإلهامى يجب أن نشير إلى أنه تَرِد على ضمائر أتقياء المؤمنين وارداتٌ وخواطرُ تُلهمهم فيما يقومون به من قُرُبات وعبادات أن يفعلوا فعلا أو أن يتركوه ، وأن يستحسنوا أمراً أو أن يستقبحوه . وقد قسّم الصوفية هذه الواردات باعتبار مصدرها الذى تنبعث عنه إلى أنواع مختلفة ، فقالوا : إنها تكون ربّانية ومَلَكية تارة ، ونفسية وشيطانية تارة أخرى. والخاطران الشيطانى والنفسىُّ اللذان يدعوان إلى الشر والخروج عن أوامر الشريعة ، ويُغريان بالْمُتَع والشهوات يَرِدان فى أغلب الأحوال على قلوب أهل الغفلة من الناس. وهى التى اجتمع فيها الجهل والطمع وحبّ

---

[٢١٢] *كتاب الجلالة* لابن العربى ، ١/١٠-١١ « قياس الشاهد على الغائب » هكذا فى *كتاب الجلالة* من رسائل ابن العربى. والتعبير مقلوب ، فالقياس الذى يشير إليه ابن العربى هو قياس الغائب على الشاهد ؛ الشاهد المعلوم يقاس عليه الغائب المجهول ، ويسمى أيضا « إلحاق الغائب بالشاهد ». وهذا النوع من القياس هو عمدة المتكلمين فى إثبات الصفات وغيرها مما هو مغيب عن الحس. والحديث عنه فى كتب الأصول. انظر مثلا *التنقيح* للقرافى ، ١٨٠.

[٢١٣] أى الصوفى.

[٢١٤] أى استبداد و جرأة.

[٢١٥] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١١٧.

الدنيا ، فلزمتها خواطرُ الهوى هذه. وليس لها غالبا فى قلوبِ مَن صفت بواطنهم من الصوفية مكان[٢١٦]. أما الخاطر الربانى الذى يرد على القلب من قِبل الله تعالى ، وهو الخاطر الذى لا يخطئ[٢١٧]. وأما الخاطر الملكى الذى يُلقيه الملك فى ضمير الصوفى عن طريق الفيض ، وهو الذى يسمَّى الإلهام. فهذان الخاطران هما اللذان يَردان على ضمائر الصوفية ويختصّون بـــهما فى الغالب[٢١٨] ؛ وحولَهما دارت أحاديثهم من حيث قبولهما أو ردُّهما.

وقد تحدّث شيوخهم عن منشأ هذه الخواطر وحقيقتها وصدقها ، وعن الوسائل التى تُهَيِّئ القلوب لورودها عليه[٢١٩] ، كما أَوْلَوْها من الأهمية مكانا دفع جمعا منهم إلى أن يقولوا فى شئ من الغلو : إن معرفتها فريضة على كل مسلم ، وإنما قُصدت فى الحديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢٢٠] على أنـــهم مع اعتدادهم بـــهذه الخواطر قد تشدّدوا فى قبولها وفى الاعتماد عليها ، فقالوا : إن خاطر اليقين لا يرد إلا على قلب اجتمع فيه الإيمان والعلم والعقل[٢٢١]. وقالوا : إنـــها لا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تُدَرَّس إلا فى

---

[٢١٦] *الرسالة* للقشيرى ، ٥١.

[٢١٧] *شرح الرسالة القشيرية* لزكريا الأنصارى ، ٢/٩٦-٩٧ ؛ *وقوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١١٤.

[٢١٨] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٢٠-١٢١.

[٢١٩] *عوارف المعارف* للسهروردى ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٢٢٣.

[٢٢٠] *سنن ابن ماجة* ، « المقدمة » ، ١٧ ؛ *والمقاصد الحسنة* للسخاوى ، ٢٧٥-٢٧٧ ؛ *وقوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١١٥-١١٦.

[٢٢١] *عوارف المعارف* للسهروردى ، ٥٨.

مدرسة التقوى[٢٢٢] التى تُجلّى مرآة القلب وتُصفّى باطن المريد[٢٢٣]. ومع ذلك فقد كانوا على درجة من الوَعْى تامة حيث أحسّوا بدقة المسلك ، وصعوبة التمييز بين الحق والباطل فى مساربه الملتوية ؛ فاشترطوا للاعتداد بـــهذه الخواطر رسوخا فى العلم ، وخُبْرة بالنفس وأحوالها تبلغ الغايةَ فى الدقة والعمق. « فلا يدرك نفاقَ القلب والخواطرَ المتولدةَ منه إلا العلماء الراسخون ، وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب من هذا القبيل لقلة معرفتهم بالنفس »[٢٢٤]. « وأقوَم الناس بتمييز الخواطر أقْومهم بمعرفة النفس. ومعرفتها صعبة المنال لا تُنال ولا تَتيسر إلا بعد الاستقصاء فى الزهد والتقوى »[٢٢٥].

ومن هنا اتخذوا « الكتاب » و « السنة » مقياسا يرجعون إليه فى الحكم بقبولها أو ردّها. « فمن قصر عن درك حقائق الزهد وتَطلّعَ إلى تمييز الخواطر يزن الخاطر أولا بميزان الشرع ، فما كان من ذلك نفلا أو فرضا يُمضيه ، وما كان من ذلك محرَّما أو مكروها ينفيه »[٢٢٦] ؛ و « من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة و لم يَتّهم خاطره فلا تَعُدَّه فى ديوان الرجال »[٢٢٧]. وكان أبو سليمان الدارانى (ت. ٢١٥هـ/٨٣٠م) يقول : « ربما تقع فى قلبى

---

[٢٢٢] المصدر السابق ، ٥٨.

[٢٢٣] المصدر السابق ، ٢٢٤.

[٢٢٤] المصدر السابق ، ٢٢٣.

[٢٢٥] المصدر السابق ، ٢٢٤.

[٢٢٦] *الرسالة* للقشيرى ، ٢٢.

[٢٢٧] المصدر السابق ، ١٨ ، ٥١ ؛ *وطبقات الصوفية* للسلمى ، ٧٨.

النكتة من نُكت القوم أياما فلا أَقْبَل منه إلا بشاهدَين عدلين من الكتاب والسنة »[٢٢٨]. ومن صفة الصوفى – كما يقول السَّرِىُّ السَّقَطِىّ (ت. ٢٥١هـ/ ٨٦٥م) – أن لا يتكلم بباطنٍ من علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة[٢٢٩].

فوضَح من هذه الأقوال أن القدماء من الصوفية قد أحاطوا الاعتماد على الإلهام بسياج[٢٣٠] من الشروط والقيود ، وهم بعد ذلك لا يقبلونه دليلاً مستقلا بل يحكّمون فيه الكتاب والسنة.

وكان العلم الإلهامى عند بداية القول بقبوله ، ومع هذه القيود التى سمعتَ ، منحصراً فى مباحث معينة ، كان لا يعدو المسائل التى تتصل بالتوحيد ، والألوهية ، والملائكة واليوم الآخر وما أشبهها[٢٣١]. ولكن المتأخرين من المتصوفة – اعتماداً على مثل قول الحكيم الترمذى (ت. ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) : المكلِّم والمحدِّث إذا تحققا فى درجتهما لم يخافا من حديث النفس ؛ كما أن النبوة محفوظة بالنسخ من إلقاء الشيطان : كذلك محل المكالمة والمحادثة مصونة من إلقاء النفس وفتنتها ، محروسة بالحق والسكينة[٢٣٢] – قد وسّعوا دائرة الاعتماد على الإلهام ، وجعلوه دليلا عاما مستقلا يعملون بمقتضاه فى العقيدة وفى التشريع ، ومالو إلى رفضِ أو انتقاصِ ما عداه من

---

[٢٢٨] *الرسالة* للقشيرى ، ١٢ ، ٢٣.

[٢٢٩] انظر *مقدمة ابن خلدون* ، ٣٩٦ ، ٣٩٩.

[٢٣٠] السِياج : السور.

[٢٣١] *طبقات الصوفية* للسلمى ، ٢٢٠.

[٢٣٢] انظر *الإحياء* للغزالى ، ٢٦/١.

« المناهج » التى كانت متَّبعَة بين علماء المسلمين للحصول على « المعرفة ». فإذا ما رفض نُقّاد المسلمين أن يقبلوا حديثا مكذوبا على النبى صلى الله عليه وسلم — وربما كان واضعه متصوفا[٢٣٣]– قال المتصوفة : هو حديث صحيح عندنا من طريق الكشف والإلهام ، وأن بعض من يضعّفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى ، وله فى الرواية والحديث مذهب وطريقة غير طريقة أصحاب الحديث ، فيعمل فى روايته بمذهبه ، فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه ، فهم يتكلمون بالإقدام والجرأة.

وقالوا رُبَما صح عندهم فى أحاديث الأحكام ما اتُّفق على ضعفه وتجريح نقلته ، وهم أخذوه من الكشف عن قائله صحيحا ، فتعبّد به أنفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم ، فينسُبوهم إلى الخروج عن الدين ، وما أنصفوا ؛ فإن للحق وجوها يوصَل إليها منها ، هذا أحدها ؛ ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه ، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف ، ويتركون العمل به[٢٣٤].

ذلك كان حكم المتصوفة على ما لا يأخذون به من الأحاديث. أما تفاسيرهم وشروحهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقد بين ابن العربى (ت. ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) مقدار ثقتهم بـــها فى قوله : « فإذا كان الأصل (يعنى القرآن والحديث) من عند الله... فينبغى أن يكون أهل الله العارفون به أحقَّ بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم ، فيكون شرحه أيضا تنـــزيلاً

---

[٢٣٣] *قوت القلوب* لأبى طالب المكى ، ١/١٧٧.

[٢٣٤] *الفتوحات المكية* لابن العربى ، ١/٢٨٠.

من عند الله على قلوب أهل الله كما كان الأصل »[٢٣٥] ، وهذه الشروح التى يُلْهَمونـــها ويَرَوْنـــها فى أنفسهم قد سمَّوها إشاراتٍ ، عدولا عن الإنكار وتأنيساً لهم (يعنى علماءَ الظاهر) ، ولم يُسمُّوها تفاسيرَ وإن كانت كذلك على الحقيقة ، خوفا من أهل الرسوم — الذين هم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام — أن يشنّعوا عليهم جهلاً منهم بمواقع خطاب الحق.[٢٣٦]

و« الاجتهاد » ، وهو أحد الأدلة الإسلامية ، يقول المتصوفة فيه : إنه لا ينحصر فى اجتهاد علماء النقل والأخبار ، ولا دليل لهم على الحصر. وللاجتهاد طريقة أخرى وهى تصفية النفس وتزكيتها ، وتحليتها بالخلق الحميدة ، وتخلّقها بالخلق الربانية ، وتهيؤها واستعدادها لقبول العلوم من الله. فإذا صُفِّيَ المحل بـــهذا النوع من التصفية لاح لهم علم الحق فى مسائل الأحكام مثل ما لاح للمجتهد عندكم.

وهذه كما نرى طريقة تخالف طريقة الاجتهاد النقلى التى عمادها العقل والنقل.

إن مواطن الخلاف بين المتصوفة وبين علماء الدين تبلغ من السَّعة بحيث لا يتّسع المقام هنا لإحصائها ، غير أن فى الذى ذكرناه ما يدل دلالة كافية لتصور المسافة الواسعة التى أحدثتها هذه الأقوال بين الفريقين.

وإذا أردنا أن نقف على المعانى الكبرى لهذه الأقوال فإنا سنجدها تكون

---

[٢٣٥] المصدر السابق ، ١/٢٧٩-٢٨٠.

[٢٣٦] قارن : *الرسالة اللدنية* للغزالى ، ٢٠.

نظاما خاصاً ومنهجا مستقلا ، قِوامُه العلم الإلهامى والوجدانى الذى يُستخدَم فى فهم مسائل العقيدة وفى مسائل التشريع معا. ونجدها أيضا — بعد أن كانت تأخذ بما يأخذ به المسلمون فى البحث — أصبحت لا تُقيم وزنا كبيرا للمناهج المتّبَعة بين طوائف المفكّرين المسلمين فى الوصول إلى حقائق الأشياء. فهى تنهى أتباعها عن التعلم ، وتشكك فى قيمة العلم من حيث الانتفاع به فى الآخرة ، كما تشكك فى صحة وسائله التى يتوصل بـــها إليه ، فتُهاجم المناهج التى تَعتمد على العقل أو النقل ، كما ترفُض قبول الحواس مصدراً من مصادر المعرفة. وهذه هى المناهج التى كانت مستعملة بين علماء المسلمين للحصول إلى المعرفة.

وهذا الإلهام الذى اتخذه المتصوفة مِقياسا للمعرفة ، ورفضوا أوشكّكوا فى قيمة ما سواه لم تَرِد الإشارة إليه فى أحاديث القدماء من أهل النظر[٢٣٧] عندما بحثوا السبل التى توصِل إلى المعرفة. يقول أبو منصور الماتريدى (ت. ٣٣٣هـ/٩٤٤م) : « ثم السبل التى يوصَل بـــها إلى العلم بحقائق الأشياء العيان ، والأخبار ، والنظر ؛ والعِيان ما تقع عليه الحواسّ »[٢٣٨].

وربما كان مما دعاهم إلى إهمال ذكره أنه لم يكن حينذاك من الخطورة بحيث يستحق الالتفات إليه. حتى إذا ما اشتهر بين المتصوفة الاعتماد العامّ على العلم الحاصل عن طريق الإلهام ، وقام الغزالى (ت. ٥٠٥هـ/١١١١م)

---

[٢٣٧] يراد بهم فى المصادر الإسلامية أصحاب المنهج العقلى ، وهم المتكلمون.

[٢٣٨] *كتاب التوحيد* للماتريدى ، ورقة ٣و.

يدافع عن صحة هذا فى كتبه[٢٣٩] ، عُنى المتأخرون من أهل النظر بالرد على القائلين به. يقول النسفى (ت. ٥٣٧هـ/١١٤٢م) : « وأسباب العلم للخلق ثلاثة : الحواس السليمة ، والخبر الصادق ، والعقل. والإلهام ليس من أسباب المعرفة عند أهل الحق »[٢٤٠].

ومنذ عهدٍ مُبَكِّر – حَسْبَما يحكى الماوردى (ت. ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) – حاول المتصوفة أن يتخذوا من الإلهام حجة يعتمدون عليها فى إثبات الأحكام الشرعية ، فردّ عليهم علماء الأصول محاولتهم[٢٤١] ، لأنـــهم رأوا أن الإلهام لو قُبلت الأحكام التى تثبت عن طريقه لذهبت قيمة العقل. يقول أبو بكر القفال الشافعى (ت. ٣٦٥هـ/٩٧٥م) : « لو ثبتت العلوم بالإلهام لم يبق للنظر معنىً »[٢٤٢].

ومع أنه قد أصبح من المألوف أن نجد إشارات يَعترف فيها غير الصوفية من علماء الإسلام بأن الصوفية أهلَ الوجدان والكشف فرقةٌ سنيّة تمتاز بمنهجها المستقلّ الذى يقوم على الإلهام والكشف ، بعد أن كانت فى بدايتها تتبع « أهل الحديث والنظر »[٢٤٣] فى مناهجهما ، ومع أن بعض المتأخرين من

---

[٢٣٩] كثرت وتكررت أقواله فى تأييد العلم الإلهامى فى كتبه ، وقد ألف فى إثباته رسالة خاصة سماها *الرسالة اللدنية*.

[٢٤٠] *العقائد النسفية* ، ١.

[٢٤١] *إرشاد الفحول* للشوكانى ، ٢٣٢.

[٢٤٢] المصدر السابق ، ٢٣٣.

[٢٤٣] *شرح الإحياء* للزبيدى ، ٢/٦-٧ ، ١٦.

علماء الكلام قد مال إلى اعتراف جزئى بالإلهام والوجدان كدليل يُقبَل فى مسائل العقيدة[٢٤٤] ، أقول : مع هذا كلّه فإن الخلاف بين الفريقين لم ينته ، بل ظلّ الإلهام مرفوضا لا يعمل به فى إثبات الأحكام الشرعية بين علماء الإسلام ، وظل المتصوفة يردّدون القول فى صحته وإثباته.

وقد عملت العناصر الأجنبية عن موضوع الخلاف ، والاتجاهاتُ التى تنبعث عن أغراض معينة ، وما كانت تَتَّسم به دعاوى المتأخرين من الصوفية من المبالغة والغرور والتحدى والشذوذ ، وما كانت تُولّده حدة الخصومة والحرصُ على إحراز الغلبة من الأكاذيب ، عَمِل كل ذلك على توسيع نطاق الخلاف وشدته ودوامه. ومع كل هذا فإن الخلاف لم يَخل من الفائدة. فقد حَظِى التصوف فى الإسلام بدراسات مفيدة ممتّعة ، فنبّه علماء المسلمين منذ الزمن البعيد على أن التصوف منذ أن أصبح وسيلة من وسائل المعرفة اتّجه اتجاها ينحرف بسببه قليلا أو كثيرا عن روح الإسلام و تعاليمه ، وأنّ عناصر أجنبيةً دخلت مؤخَّراً فى المحيط الإسلامى فتدخّلت فى توجيهه.

وعُنى كبار العلماء من المستشرقين بعدُ بدراسة هذه العناصر الدخيلة وبتحليلها وردها إلى مصادرها الأولى ، دراسة منهجية جدّية نافعةً عاد منها على فهم الحياة الروحية فى الإسلام كثير من الخير والفائدة. غير أن هؤلاء المستشرقين لم ينظروا فى دراستهم هذه إلى حركة التصوف من حيث أنـــها عامل من شأنه أن يُمدّ الحياةَ الإسلامية الفكرية والمادية بالقوة والحَيوية ، ومن شأنه أيضا أن يصيبها بالشَّلَل والتصلّب. بل نظروا إلى التصوف على أنه

---

[٢٤٤] المصدر السابق ، ١٥/٢ ؛ *وإرشاد الفحول* للشوكانى ، ٢٣٢-٢٣٣.

مجموعة من المواد يمكن تحليلها إلى أجزائها وعناصرها الأولى ، وردُّ كل منها إلى أصله. أما ما تُحْدِثه هذه المجموعة فى حياة المسلمين من آثار ضارة أو نافعة فلم تُعْنَ به دراسة علماء الغرب من المستشرقين عناية أساسية. وهى ناحية — من وجهة نظر المسلم الذى يُحسّ بكيانه الفردى والجماعى — لها قيمة بالغة الأهمية تحتاج إلى بحث واسع.

وأقوال علماء المسلمين والعلماءِ من قدماء الصوفية أيضا[٢٤٥] فى نقد مسلكِ وأقوالِ المنحرفين من المتصوفة كانت تَصدر عن فهم صادق لتعاليم الإسلام وأهدافها ، وعن فهم صادق أيضا لما يعود على هذه التعاليم من الضعف والفناء من جَراء الاتجاه الجديد للتصوف. **ومن الممكن أن يتصور الإنسان ماذا كان يُصبح عليه الوضع لو أن المسلمين جميعا عملوا بآراء المتصوفة التى تدعو إلى السلبية المطلقة فى كل ناحية من نواحى الحياة.**

ومن هنا نرى أن الخلاف بين المتصوفة من جهة ، وعلماء الإسلام من جهة أخرى هو خلاف فى فهم حقيقة الإسلام. طائفة تؤمن بقوة الإسلام وحيَويّته وبروحانيته وماديته معا ، فتجادل بعقولها وجوارحها فى سَبيل الحصول على منـــزلة أفضل فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الأخرى ، وطائفة أخرى كفرت بحيوية الإسلام ، ودعت إلى الذلة والعجز والانزواء عن الحياة

---

[٢٤٥] انظر مقدمة كل من *كتاب اللمع* للسراج ؛ و*كتاب التعرف* للكلاباذى ؛ و*الرسالة* للقشيرى.

وعن الناس ، وجعلت شعارها بين الأحياء : « موتوا قبل أن تموتوا »[٢٤٦].
وهو ، كما نرى ، خلافٌ بعيدُ الغَوْر واسعُ المدَى.

[٢٤٦] حديث موضوع أدخله دعاة الذلة والعجز فى تعاليم الإسلام (انظر : كشف *الخفاء* للعجلونى ، ٢/٢٩١).

المصادر والمراجع

- *الأجوبة الكبرى* ؛
تأليف عبد القادر بن على بن يوسف بن محمد المغربى الفاسى ، طبع حجر بفاس ، ١٣١٩هـ.

- *الإحياء* ؛
إحياء علوم الدين ، تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، القاهرة ، بدون تاريخ (مطبعة الاستقامة).

- *الإحياء* ؛
إحياء علوم الدين ، تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، دار الطباعة والوقائع المصرية ، القاهرة ، ١٢٦٩هـ.

- *إرشاد السارى*
...لشرح صحيح البخارى ، تأليف أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى ، بولاق ، ١٣٠٤هـ.

- *إرشاد الفحول*

... *إلى تحقيق الحق من علم الأصول* ، تأليف محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ.

- *الإصابة*

...*فى تمييز الصحابة* ، تأليف شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانى ، القاهرة ، ١٣٢٣-١٣٢٧هـ.

- *أصول الدين* ؛

تأليف أبى منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى ، إستانبول ، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.

- *اعتقادات*

...*فرق المسلمين والمشركين* ، تأليف أبى عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازى ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.

- *تاريخ بغداد* ؛

تأليف أبى بكر أحمد بن على بن ثابت المشهور بالخطيب البغدادى ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ/١٩٣١م.

- *تأييد الحقيقة العلية*

...*وتشييد الطريقة الشاذلية* ، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٤م.

- *التبصير فى الدين* ؛
تأليف أبى المظفر شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني ، القاهرة ، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

- *التعرف ...لمذهب أهل التصوف* ، تأليف أبى بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذى البخارى ، نشر A.J. Arberry ، القاهرة ، ١٩٣٣م.

- *تفسير الطبرى* ؛
جامع البيان فى تفسير القرآن ، تأليف أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، بولاق ، ١٣٢٢-١٣٢٩هـ.

- *تفسير المنار* ؛
تفسير القرآن الحكيم ، تأليف السيد محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

- *تلبيس إبليس* ؛
تأليف أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

- *تلبيس إبليس* ؛
تأليف أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ، نشر عصام فارس الحَرَستانى ، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٤م.

- *التنقيح* ؛

تنقيح الفصول فى الأصول ، تأليف شهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافى ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ.

- *حلية الأولياء*

...وطبقات الأصفياء ، تأليف أبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الإصفهانى ، القاهرة ، ١٣٥١-١٣٥٧هـ/١٩٣٢-١٩٣٨م.

- *الرسالة* ؛

تأليف أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيرى ، القاهرة ، ١٣١٨هـ.

- *رسالة العبودية* ؛

تأليف أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ.

- *الرسالة اللدنية* ؛

تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ضمن مجموعة *الجواهر الغوالى من رسائل الإمام الغزالى*.

- *رسالة المذاهب* ؛

تأليف أبى حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفى ، مكتبة سليمانية ، رقم ١٠٢٨.

- *سنن ابن ماجة* ؛
تأليف أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، نشر محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ، ١٣٧٢-١٣٧٣هـ/١٩٥٢-١٩٥٣م.

- *سنن النسائى* ؛
تأليف أبى عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

- *شذرات الذهب*
... *فى أخبار من ذهب* ، تأليف أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلى ، بيروت ، بدون تاريخ (المكتب التجارى).

- *شرح الإحياء* ؛
إتحاف السادة المتقي بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، تأليف أبى الفيض محمد ابن محمد الحسينى الشهير بمرتضى الزبيدى ، القاهرة ، ١٣١٢هـ.

- *شرح الرسالة القشيرية* ؛
إحكام الدلالة على تحرير الرسالة ، تأليف أبى يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى ، بولاق ، ١٢٩٠هـ.

- *الشفا*
...*بتعريف حقوق المصطفى* (مع شرحه للخفاجى) ، تأليف ابى الفضل عياض ابن موسى المعروف بالقاضى عياض ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ.

- *شفاء السائل*

...*لتهذيب المسائل* ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، إستانبول ، ١٩٥٧م.

- *صحيح البخاري* ؛

تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، إستانبول، ١٣١٥هـ.

- *صحيح مسلم* ؛

تأليف أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، نشر محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٣٧٤-١٣٧٥هـ/١٩٥٥-١٩٥٦م.

- *صفة الصفوة* ؛

تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، حيدر آباد ، ١٣٥٥هـ-١٣٥٧هـ.

- *طبقات الصوفية* ؛

تأليف أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

- *طبقات الصوفية الكبرى* ؛

لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، ألقاهرة ، ١٣١٥-١٣١٧هـ.

- *عدة المريد* ؛

تأليف أبي العباس أحمد بن أحمد بن عيسى الفاسي المعروف بزرّوق ، نسخة ولي الدين (بايزيد) ، رقم ١٧٤٢.

- *العقائد النسفية* ؛

تأليف أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي ، إستانبول ، ١٣١٥هـ.

- *عوارف المعارف* ؛

تأليف أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي ، في ذيل *إحياء علوم الدين* للغزالي ، القاهرة ، بدون تاريخ (طبع الاستقامة).

- *الفتاوى الحديثية* ؛

تأليف شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

- *فتح الباري*

...*بشرح صحيح البخاري* ، تأليف أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، بولاق ، ١٣٠٠-١٣٠١هـ.

- *الفتوحات*

...*المكية* ، تأليف محيي الدين بن علي بن محمد بن العربي ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ.

- *الفرقان*

...*بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان* ، تأليف أبى العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ/١٩٧٧م.

- *الفرق بين الفرق* ؛

تأليف أبى منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

- *فيصل التفرقة*

...*بين الإسلام والزندقة* ، تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- *قواعد التصوف* ؛

تأليف أبى العباس أحمد بن أحمد بن عيسى الفاسى المعروف بزرّوق، القاهرة ، ١٣١٨م.

- *قوت القلوب*

...*فى معاملة المحبوب* ، تأليف أبى طالب محمد بن على بن عطية المكى ، القاهرة ، ١٣١٠هـ.

- *كتاب الأربعين*

...*فى أصول الدين* ، تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ.

- *كتاب التوحيد* ؛
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى ، نسخة كمبردج ، Add. ٣٦٥١

- *كتاب الجلالة* ؛
تأليف محيى الدين بن على بن محمد بن العربى ، حيدر آباد ، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

- *كتاب اللمع* ؛
تأليف أبي نصر عبد الله بن على الطوسى السراج ، تحقيق ر. ا. نيكلسون ، ليدن ، ١٩١٤م.

- *كشف الخفاء*
...ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الـــهادى الجراحى العجلونى ، القاهرة ، ١٣٥١هـ.

- *مجمع الزوائد*
...ومنبع الفوائد ، تأليف أبي الحسن نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان الهيثمى، بيروت ، ١٩٦٧م.

- *المحاضرات* ؛
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء و البلغاء ، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الإصفهانى ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ.

- *مسند أحمد بن حنبل* ؛

تأليف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، القاهرة ، ١٣١٣هـ.

- *المعجم المفهرس*

...لألفاظ القرآن الكريم ، تأليف محمد فؤاد عبد الباقى ، إستانبول ، ١٩٨٢م.

- *المقاصد الحسنة*

...فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تأليف أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى ، تحقيق عبد الله محمد الصديق ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

- *مقالات الإسلاميين*

...واختلاف المصلين ، تأليف أبي الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعرى، تحقيق هلموت ريتر ، فيسبادن ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

- *منازل السائرين* ؛

تأليف أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن على الأنصارى الهروى، القاهرة ، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

- *مناقب الأبرار*

...ومحاسن الأخيار ، تأليف الحسين بن نصر بن أحمد بن خميس الموصلى ، مكتبة ولى الدين (بايزيد) ، رقم ١٦١٨.

- *المنقذ من الضلال* ؛
تأليف أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، القاهرة ، ١٣٠٣هـ.

- *النهاية*
...في غريب الحديث والأثر ، تأليف أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ،المعروف بابن الأثير الجزري، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

فهرس الأعلام

إبراهيم الحربى ٤٥.

أحمد بن حنبل ٤٠.

أحمد بن أبى الْحَوَارى ٥٨.

بشر بن الحارث ٥٨.

البغدادى ، أبو حمزة ٤٠.

البُوشَنْجِى ، أبو الحسن ٣٥.

ثعلب ، أحمد بن يحيى ٤١.

أبو ثور ٤١.

جبريل ٢٠ ، ٢٥.

جعفر الْخُلْدى ٥٧.

الجنيد البغدادى ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٨.

الحسن البصرى ٤٩.

أبو الحسين بن الخلال ٥٨.

الحكيم الترمذى ٦٧.

حمدون القصار ٤١ ، ٥١.

ابن خفيف ٤٢ ، ٦٠.

الدارانى ، أبو سليمان ٥٩ ، ٦٦.

داود الظاهرى ٤١.

ذوالنون المصرى ٦٢.

رابعة العدوية ٥٨.

الرُّوذْبارِىّ ، أبو على ٤١ ، ٥٤.

رويم بن أحمد البغدادى ٤٠ ، ٤٢.

السَّرِىُّ السَّقَطى ٦٧.

سفيان الثورى ٤١.

سهل التسترى ٥٠.

الشبلى ٤١ ، ٥٨.

شُعْبَة بن الحجاج ٦٠.

أبو طالب المكى ٤٠ ، ٥٠.

أبو العباس بن سُرَيْج ٤١.

أبو العباس بن عطاء ٤٢.

عبد الرحمن بن أبى حاتم ٦٠.

عبد الرزاق الصنعانى ٦١ ، ٦٢.

عبد القاهر البغدادى ٤٦.

عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٧ ، ٢٨.

عبد الله بن مُنازل ٤١.

عبد الواحد بن زيد ٣٩.

عثمان بن مظعون ٢٦ ، ٢٧.

عمر بن الخطاب ١٥.

عمرو بن عثمان المكّى ٤٠ ، ٤٢.

الغزالى ، أبو حامد ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٠.

فخرالدين الرازى ٤٧.

الفُضَيْل بن عِياض ٥٠.

القشيرى ، أبوالقاسم عبد الكريم ٥٤ ، ٥٥.

القفال ، أبو بكر ٧١.

الكندى ، أبو سعيد ٥٧.

الماتريدى ، أبو منصور ٧٠.

مالك بن أنس ٤٠.

الماوردى ٧١.

المحاسبى ، الحارث بن أسد ٣٩ ، ٤٢.

محمد ، رسول الله ، الرسول ، النبى (ص) ١١، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٨.

محمد بن الفضل البلخى ٤١.

محيى الدين بن العربى ٥٣ ، ٦٨.

النسفى ، نجم الدين عمر بن محمد ٤٧ ، ٧١.

النصرابادى ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد ٤٠.

النوريّ ، أبو الحسن ٥٠.

أبو يزيد البِسطامى ٣٤ ، ٦٢.

يوسف بن الحسين الرازى ٥٥.